14 me Année No. 701

Lundi — 9 — 12 — 1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٠١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ محرم سنة ١٣٦٦ — ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الأمثال العـــالمية

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

كتب إلى الأستاذ عبد القادر الكرمانى بحلب خطاباً ينبئنى فيه « أنه يضع كتاباً عن الأمثال العالمية بلغة الضاد ، وينقل إلى لغتنا العزيزة ما وصلت إليـه يده من أمثال الأمم الأخرى على اختلاف أجناسها وأصقاعها ، وقد أرهف نفسه للسؤال عن ناحية هامة فى المثل وهى : هل وضع الأمثال مقصود على الأسلاف فقط؟ وهل لنا معشر الخلف أن نضع أمثالا أسوة بمن سبقونا ؟ وإذا جاز وضع الأمثال لناوضربها فى مختلف شئون الحياة فما هى الشروط التى يجب أن تتوافر فيما نود أن نتخذه مثلا ؟ وإذا كان وضع المثل محصوراً فيمن تقدمونا فلم هذا الحصر وما هو الباعث له ؟ وهل اتفقت الأمم جمعاء على السير فى منهاج واحد ؟ أم أن هناك اختلافاً بين شعوب الأرض ؟ ... »

وأقول : إن مكان هذا الكتاب الذى يشتغل به الأستاذ الكرمانى لا يزال ناقصاً فى اللغة العربية ؛ لأنها اللغة الوحيدة فيما نعلم بين لغات الحضارة التى خلت من كتاب جامع لأمثال الأمم أو للأمثال العـالمية على حسب موضوعاتها أو على حسب أقوامها ، وهو الموضوع الذى جمعت فيه باللغات الأوربية أسفار ضخام تجمع تلك الأمثال بترتيب أغراضها تارة وبترتيب أقوامها تارة أخرى

وأحسب أن اللغة العربية أحوج إلى هذه المجموعة من اللغات الأوربية ، لأن العرب «سلفيون» يكثرون الرجوع إلى الأمثال ، ولأن الناقلين الأوربيين يخطئون فيما ينقلونه من أمثالهم وينسبونه إلى الأمم الشرقية الأخرى لاشتراك هذه الأمم جميعاً فى الدين وفى أحكام آدابه التى تضرب بها الأمثال . ويبلغ من خطئهم فى هذا أننا رأينا آيات قرآنية وأحاديث نبوية منسوبة إلى الفرس أو إلى الهند لأنها وردت فى أقوال الحكماء والمتصوفة من أبناء الأمم الهندية أو الفارسية ، فإذا اهتم أديب عربى بجمع الأمثال العالمية فهو أحق الناس بتصحيح هذه الأخطاء وتمييز الأمثال الشرقية على حسب الأجناس واللغات . ولا شبهة فى لزوم هذا التمييز ، لأن الخلط بين أمثال العرب والفرس والهند مخالف للواقع من جهة ، ومضلل للباحث فى مقابلات الأمثال من جهة أخرى ؛ إذ لا يخفى أن مسألة الأمثال مسألة « اثنولوجية » لهـا دلالتها على أطوار الأمم وعاداتها وبواعث تفـكيرها ووسائل تعبيرها . فلا يشعر الفارسى بالحقيقة الواحدة كما يشعر بها العربى فى البادية أو الحاضرة ، ولا تقع المقارنة بين الحقيقة كما يعبر عنها المثل العربى والحقيقة كما يعبر عنها المثل الفارسى إلا ظهرت من هذه المقارنة خصائص الأمتين وعادات كلتيهما فى المعيشة وأسلوبهما فى الملاحظة والتعبير ، وقد يكون للمثلين شاهد واحـد أو موضع استشهاد

واحد ، ولكن الاختلاف بين الشاهدين هو الذي يدلنا على اختلاف الخصائص والعادات ويفيدنا تلك الفائدة الأنثولوجية التي يبحث عنها علماء الأجناس والسلالات

فكتاب الأستاذ الكرماني منتظر ومطلوب ومفيد ، ونرجو له التوفيق في إتمامه على الوجه المنتظر المطلوب الذي تتحقق به فائدة اللغة العربية وفائدة المعرفة الإنسانية على التعميم .

أما سؤال الأستاذ عن حق الخلف في وضع الأمثال ، فهو كحق السلف في اعتقادنا بلا اختلاف ، لأن أبناء الجيل الحاضر سلف بالنسبة إلى الأجيال التي تعقبهم وتقتبس من حكمتهم وتجربتهم وتروى ما بقي من آثارهم وأخبارهم ، فإذا تلقى الأعقاب عنهم كلمات صالحة للرواية والاستشهاد ، ودارت هذه الكلمات دورتها على الألسنة كما دارت من قبلها كلمات آبائنا وأجدادنا ، فتلك هي الأمثال يضربها أبناء جيل لأبناء الأجيال ، وذلك هو الحق الوحيد الذي يستند إليه واضع الأمثال .

ولكنني أحسب الأستاذ يسأل عن الأمثال التي يضعها أبناء الجيل الحاضر لأبناء الجيل الحاضر ، ويرى لها موقعاً مختلفاً من موقع الأمثال الموروثة عن الأجيال الغابرة ، وله الحق فيما يراه .

فالأمثال « سلفية » في طبيعتها ودلالتها ، وقيمة هذه الدلالة آتية من اعتقاد الناس أنها دالة على إجماع التجارب واتفاق العبر بين الغابرين والحاضرين . فإذا حدثت الحادثة اليوم وسمعنا مثلا يلخص لنا الحكم على حادثة مثلها وقعت قبل مئات السنين ونظر الناس إليها يومئذ كما ننظر إليها اليوم ، فهذه هي عبرة الأمثال ، وهذه هي دلالتها لمن يروونها ويستشهدون بها في مواقعها ، وهذه هي قوة الإقناع التي تستفاد من تجارب السلف ويتخذها الخلف رائداً له في حوادث الحياة .

لهذا ترجح أمثال الجيل الغابر على أمثال الجيل الحاضر ، فهي حجة القدم واتفاق التجربة دون غيرها ، وهي حجة لا تتاح لأقوال المعاصرين في زمانهم إلا إذا طال بها العهد حتى توافت عليها العبر وتكررت عليها الشواهد وصح بها الاستدلال

لكن الثقة بالسلف ليست هي الثقة الوحيدة في مقام الاستشهاد ، ونحن نؤكد الرأي بإسناده إلى زعيم موثوق بعقله وصدقه كما نؤكده بالإسناد إلى الآباء والأجداد .

ولهذا يجوز أن يصدر المثل من الجيل الحاضر للجيل الحاضر ، ويجوز أن ينهض الزعيم الموقر بين قومه فيتخذ له شعاراً يجرى بينهم مجرى الأمثال ويكررونه في مقام الاستشهاد والاستدلال .

ولا شروط لشيوع المثل تكفل له البقاء على سبيل الحتم والإلزام ، فإن شيوع المثل لا يتأتى بإرادة واضعه ولا بإرادة مروجيه ، وإنما يتأتى بشيوع الحاجة إلى تكراره ارتجالا بغير روية ولا اتفاق ، فتسقط أقوال كثيرة مع بلاغتها ، لأنها لا تخطر على البال في أعم المناسبات وأدعاها إلى الاعتبار ، وتسرى أقوال كثيرة مع بساطتها لأنها تخطر على البال في كل مناسبة وتعبر عن « الحالة » في نفوس قائليها والمستشهدين بها .

ولكن الملحوظ في جميع الأمثال السارية أنها تجمع بين السهولة والبساطة ودواعي الشعور المشترك بين العديد الأكبر من جملة الطوائف والطبقات ، وإن الحكم للمصادفة فيها أقوى من الحكم للموازنة والاختيار .

وقد تنسب الكلمة إلى زعيم فتشيع لأنها نسبت إليه وهو لم يفه بها ولم يقصد بها قط ما قصده المرددون والمستشهدون ، ومن أمثلة ذلك أن عامة المصريين يقولون في بعض المناسبات : سعد باشا قال : « مفيش فايدة .. »

وسعد باشا لم يقل هذه الكلمة في المناسبات التي يريدونها ، وإنما قالها عدلي باشا بالإنجليزية على مسمع من سعد باشا واللورد ملنر فغضب منها سعد وأنكر أن يعدل المتكلمون عن اللغة التي كانوا يتكلمونها إلى اللغة الإنجليزية ليقولوا بها عن مناقشته ما معناه بالعامية : « مفيش فائدة »

إلا أن الكلمة كان لها شأن خطير في السياسة المصرية ، وعرف عامة المصريين ما كان لها من الأثر في علاقات الزعماء والعلاقات بين مصر والدولة البريطانية ، ونسوا مناسبتها ولم يذكروا إلا كلمة « مفيش فايدة »... وإن سعد باشا قالها ونفض يديه من المحادثات اللندنية في ذلك الحين ، فسارت مثلا لأنها سجلت « حالة » من حالات زعيم كبير ، وهي حالة قابلة للتكرار في كل يوم ، فليس أكثر من الحالات التي تنفض منها اليدان ويرفضها المرء مغضباً وهو يقول : « مفيش فايدة ! »

على أن الأجيال تختلف في السليقة « المثلية » أو في السليقة

إلى وزارة المعارف :

وعلى هذا فنحن ندور . . .

للأســـتاذ كامل السيد شاهين

– ٢ –

فإذا طرّحنا النظر فى منهج التعليم الابتدائى ألفيناه مؤلفاً من : قواعد ، وإنشاء ، ومحفوظات ، وإملاء ، وخط . وبنظرة فاحصة فى كل فرع من هذه ، تنثال علينا مثالب لا نجد إلى ردها سبيلا . ولنتعقبها فرعاً فرعاً لعلنا نجد من تكشيف هذه العيوب سبيلا إلى الإصلاح ، وعوناً على العلاج

فأما القواعد ، فقد وضعت الوزارة بين أيدى تلاميذ السنة النهائية كتاباً ضاق غلافه — على سعته — بأسماء المؤلفين والمراجعين ، ومع هذا فقد خرج الكتاب غير مناسب لروح التطور التربيى ، فهو يعقد الباب بعنوان ، ثم يجرى وراء الأمثلة فيجمعها من كل طريق ، مثال من الصحراء ، وآخر من السماء ، وثالث من الحيوان ، غير مراع نسقاً خاصاً ، ولا حافل بانسجام ، ثم يناقش الأمثلة أو بعضها ويخلص إلى القاعدة

وقد كان هذا كافياً وجميلا فى وقت ما ، أما اليوم فلا كفاية فيه ولا جمال ، ذلك بأن التلميذ يتلقى القواعد تلقياً جافاً لا روح فيه فيمجُّها ويملها ، وقد درسنا ولا زال المربون يدرسون أن التربية الصحيحة تُملى أن يكون درس القواعد بسبب من الإنشاء وأن تكوّن الأمثلة مرتبطة موضوعاً ، أو شبه موضوع ، يقوم فى ذهن التلميذ ويتحيز ، ويدرك منه أن هناك رباطاً وثيقاً بين هذه وتلك ، ويفيد من ذلك ترابط المعلومات وتغذية ملكة الإنشاء وطرافة العرض ، ومن ثم فنستطيع أن نقول إن الأسلوب الذى

التى تنشئ الأمثال وتجريها على الأفواه

وربما كان العصر الحاضر من أقل العصور قدرة على تسيير المثل بعد إنشائه ، وأقلها قدرة على إنشائه قبل تسييره

وترجع هذه الخاصة فيه إلى سببين : أحدهما أن توقير السلف فيه ضعيف ، والآخر أنه عصر السرعة — بل العجلة — فلا يصلح من ثم لتدعيم الكلام بالشواهد والأمثال

فأما ضعف التوقير فى عصرنا لكل قديم ، فهو من لوازم الجموح الذى اقترن بالحرية « الشخصية » وخلق لكل فرد من الأفراد اعتداداً بنفسه يخرجه أحياناً عن سلطان الجماعة أو سلطان القبيلة كما عرفوه ووقروه فى الزمن القديم ، ويصرفه عن التماس الشواهد مما قاله الأقدمون ، لأنه لا يتوخى فى أعماله أن توافق آراء الأقدمين ، بل لعله يفخر أحياناً بتعمد المخالفة والشذوذ اغترارا منه بمعنى المخالفة والشذوذ ، وهو القدرة على التحدى والاستقلال

وأما علاقة السرعة بالأمثال ، فهى ظاهرة من الفرق بين طبيعة الأحاديث التى يسترسل بها المتحدث إلى سوق الشواهد والأمثال ، وبين طبيعة الأحاديث التى يخطفها المتحدث خطفاً ولا يكاد يبدأها حتى ينتقل منها إلى موضوع منقطع عنها ، فإن الجالس فى المنظرة ليقضى البهرة كلها فى قعدة واحدة يستطرد إلى المثل تارة وإلى العبرة تارة أخرى فلا تقع عند السامع موقع الاستغراب ، بل موقع الانتظار والارتقاب

ولكنه إذا جلس فى مرقص الجازبند أو فى رحلة السيارة أو فى القهوة التى تموج بالداخلين والخارجين فآخر ما يخطر على البال أنه يسترسل بالحديث إلى سوق الشواهد وضرب الأمثال

وتظهر علاقة السرعة بالأمثال فى معرض آخر من معارض العصر الحاضر ، وهو معرض التفرقة بين مناسبات الكلام فى محافل الوعظ والتعليم ومناسبات الكلام فى الصحف والمجالس النيابية وأحاديث المذياع وروايات المسارح والصور المتحركة فهذه كلها تتجدد لمحة بعد لمحة ولا يأتى اللاحق منها حتى يرخى ذيول النسيان على ما سبق منذ لحظات أو منذ ساعات أو منذ أيام

وليست معارض الحديث بالأمس على هذا المنوال ، لأنها كانت تتكرر بين الحين والحين ويتسع لها مقام التأمل والاستقرار والترديد

ولعمرى إنه لسبب آخر من أسباب العناية بجمع الأمثال وتقريبها إلى أبناء الجيل ؛ لأن هذه العناية تستنقذ أثراً من الآثار الماضية يخشى عليه من طيات النسيان الفضفاضة ، وتلقن أبناء الجيل « حالات نفسية » قد تؤدى بهذه العجلة الخاطفة إلى شئ من التؤدة والأناة .

عباس محمود العقاد

اتخذه الكتاب أسلوب لايسد الحاجة ، ولايسير طويلا فى طريق التربية الحديثة ، ولا يساعد على تغذية وتنمية ملكة الإنشاء ، ويضرب فى الجفاف والعقم إلى حد بعيد .

فإذا ما ضربنا عن الأسلوب صفحاً ، ورحنا نبحث فى ترتيب المعلومات وتبويبها ، ألفينا الجناية الكبرى التى لا تخص مرحلة دون مرحلة ولا جيلا دون جيل — ذلك بأن القوم فى الأزهر ودار العلوم داروا حول كتاب واحد لا يجدون عنه حولا ، هو ألفية ابن مالك ، فهم يدرسونه بشرح ابن عقيل ، ثم بأوضح المسالك ، ثم بالأشمونى ؛ ومن ثم تجد أن طابعه قد مثل فى أذهانهم وتبويبه وترتيبه قد استقر فيها ، فتجدهم لا يسيغون طريقة المفصل للزمخشرى ، ولا ينظرون فى كافية ابن الحاجب ، وأهملوا الكتب والأصول شر إهمال ؛ فلم يدرسوا شيئاً قط من كتاب سيبويه ، ولم يعرفوا شيئاً قط عن مقتضب المبرد ، وكانت عقبى ذلك أن اتجهوا اتجاهاً خاصاً هو اتجاه ابن مالك فى بعض كتبه ، وفاتهم بهذا الإهمال أن يوازنوا بين اتجاهه واتجاه غيره من النحاة فى الترتيب والتبويب ، فذلك عسى أن يقودهم إلى اختيار أى السبل أهدى وأقوم

وقد جنت هذه المتابعة على تلاميذنا شر جناية ، لأن الأساتذة المؤلفين لم يكلفوا أنفسهم رهقاً ، فلم يبحثوا عن طريق غير الطريق التى رسمها لهم ابن مالك ، ومن يدرى فلعلهم لا يعرفون أن هناك سبيلا آخر يصل بهم إلى هذه الغاية .

ابن مالك — ومن ورائه مؤلفونا الفضلاء — يرسم كتابه على : الكلام وما يتألف منه — ثم المعرب والمبنى — ثم النكرة والمعرفة ، ثم المرفوعات فالمنصوبات فالمجرورات — ثم التوابع .

مسلك الرجل فى الكتاب مسلك من ينظر إلى الصنعة النحوية فقط ، مسلك من يهمه آخر الكلمة رُفع أو نُصب أو جُر ، ولا يهمه تناسق المعانى ، أو افتراقها ، وتنافرها أوانسجامها . حسبه أن هذا الحرف ينصبُ فيجب أن يكون فى باب المنصوبات وأن هذا الحرف يجر ، فيجر إلى باب المخفوض ، وهلم خلطاً ومزجاً والشر فى هذا أكبر من أن يهوّن ، فالتلميذ يعرف أن « لن » تنصب ، ويعرف أن « لم » تجزم ويعرف أن « ليس » تنصب الخبر ، وأن « ما » فى النفى لا تعمل شيئاً ، وكذلك « لا » ، ولكنه إذا طُلبَ إليه نفى جملة إسمية أو فعلية ، دار بين هذه جميعها وحار ، أينفى بلن ، أم بلم ... الخ . والجناية على المعانى جد عظيمة ولا تعدلها بحال الجناية على الضبط ، فالذى يقول : لم يتفق الفاوضون ، أخف جرماً من الذى يقول لم الفاوضون متفقون ، وإذن فلا بد أن تكون المعانى مساوقة للاعراب إصبعاً إصبعا فيعقد باب للنفى تجمع فيه أدواته وتبين خواص كل أداة ، وفى ذلك من اللذة والفائدة ما فيه . ولكن طريقة ابن مالك ومتابعيه لا تعبأ بهذا ، بل ترى (لم) فى صندوق الجوازم لأنها تجزم ، و(لن) فى صندوق النواصب لأنها تنصب ، و(ليس) فى صندوق النواسخ ناصبة الخبر ، ولا تعرض لما ، لماذا ؟ لأنها مسكينة فارغة ، متصعلكة لا عمل لها فى اللفظ ، أما أثرها فى المعنى فليس للقوم على بال ، وكذلك « لا » مستضعفة فارغة فلا ذكر لها ولا وجود !

والجناية فى التوكيد مثلها فى النفى ؛ « فإن — المفعول المطلق المؤكد — ونون التوكيد — والتوكيد المعنوى » كلها مبثوثة فى الكتاب ولكنها مختصمة متفرقة أبدى سبأ ، كل منها فى باب ، فتوكيد الجملة الاسمية تجده فى الحروف النواسخ ، وتوكيد الفعل بالإسم تجده فى المفعول المطلق ، وتوكيد الفعل بالحروف تجده فى بناء المضارع وبناء الأمر ، وتوكيد الإسم بالإسم تجده فى التوابع ، فإذا رُمت أن يؤكد لك التلميذ جملة إسمية فقد رميت به فى متاهة لأنك بذكر لفظ « التوكيد » قد صرفت ذهنه كله إلى الباب المعقود للتوكيد ، وليس فيه إلا الألفاظ التوابع وهى من الضآلة فى العربية ما هى .

تلك جناية اللفتة السقيمة إلى آخر الكلمة ، تفرق ما بين اللّفق ولفقه ، وتصيب عقل الوليد بالالتواء والتشويش .

لابد أن نعقد أبواب النحو على طريقة أخرى تتوخى فيها المعانى ، فنعقد باباً للتوكيد ، وباباً للنفى ، وباباً للربط ، وباباً للطلب . أمره . ونهيه . واستفهامه . ودعائه . وتمنيه ، وهلم جرا ؛ فذلك أعود بالفائدة وأقرب إلى أن تكون الدراسة ممتعة شائقة غير جافة غثة باردة تعلق نظر الغلام بآخر الكلمة لا بعدوه .

وقد رأيت أن متابعة طريقة ابن مالك قد عادت على المؤلفين بوضع أبواب لا فائدة من دراستها فى المرحلة الابتدائية ، ذلك

بأن محط الخطأ إنما هو الإعراب ، أما المبنى فهو بعيد عن مجال الخطأ كل البعد ، وقد جاءت الحروف مبنية ، والأفعال كذلك ، ونَصْبُ المضارع وجزمه سَهْل التدبير ، فإن أدواتهما معدودة محدودة ، ومدار الخطأ إنما هو فى معرب الأسماء التى يتلون آخرها بالضم والكسر والفتح ، والذى يتولى كِبْرَ الضلال من هذه الأحوال إنما هو الفتح ، فأما الضم فإنه يدور حول محور واحد وهو الإسناد ، فإسناد الإسم أو الإسناد إليه مقتض رفعه ، لا يخرجه عن ذلك إلا ناسخ ، وأما الجر فإنه يكون بحرف أو إضافة — فإذا حُدِّدَ الإسم المرفوع وذلك هين ، والمجرور وهو أهون ، فما بقى من اسم فهو منصوب لا يكون إلا كذلك ، فأما أنه منصوب على المفعولية أو الحالية ، فذلك مما لا يعنى مادمت أحرص على النطق السليم الصحيح ، فأنا أبيح التلميذ أن ينصب الإسم متى ظهر أنه ليس مسنداً إليه ولا مسندا ، ولا مستحقاً للجر بالإضافة أو الحرف ، وليس فى الناس من يقول إن التلميذ لا يفهم معنى « عاد التلميذ مصاباً » حتى يعرف أن مصابا حال ، فحسبه إذن أن يقول إنها فضلة . وبذلك وحده نكون قد اختصرنا ثلث النحو ، ونستطيع أن نستغل الفراغ فى نواحى أخر أجدى وأعود بالفائدة . وبذلك نكون قد خففنا من هول هذا الشبح المفزع الذى يتراءى للتلميذ فى يقظته ويَرُوعه فى منامه ، وهو شبح القواعد .

ولست أزعم أننى مبدع هذا النسق من الدراسة والاختصار فقد سبق إليه الأستاذ ابراهيم مصطفى فى كتابه « إحياء النحو » ولكنه واضيعتاه لم يجر عليه فى كتب صغار التلاميذ التى هو أحدُ أحدَ عشر كوكباً رَقَّشوا غلافها بأعلامهم الكريمة !

وهنا نترك أمر التبويب والترتيب والاختصار والحشو ، إلى أمر آخر أقذى فى العين ، وأشجى للنفس ، فإن الكتاب كثيرا ما يغفل عن المقرر إلى أى حد وقف ، وعن التلميذ إلى أى مدى درس ، فيطلب منه أعراب شىء ما عرفه بعد ، فيقف التلميذ حائرا مبهوتاً دهشاً ، أو يجتازه على ضرب من الحدس والتخمين ، وما شر من ذاك إلا هذا ، فأما المعلم فإنه يبيت — من رحمته بتلميذه وإشفاقه عليه — قلق الجنبين غير مُوَسَّد ! .

خذ مثلا : مطالبته فى آخر تمرين على الضمائر بإعراب الجملة « إننا سَلَّمْنا على القادمين » على حين أن التلميذ لم يعرف بعد أن من الخبر ما هو جملة ، وبينه وبين معرفة ذلك مدى طويل ، فالله أنشدكم ماذا يقول المدرس ؟ وكيف يتخلص من أسئلة تصوب إليه فى حرص وقوة ؟ وكيف فات ذلك المؤلفين الستة والمراجعين السبعة ؟

وخذ مثلا آخر : مطالبته بإعراب : « أمسى القانع وهو مغتبط » آخر باب الحال ، وأمسى هنا دائرة بين التمام والجملة بعدها حال ، أو النقصان والواو زائدة كما قالوا فى « فأمسى وهو عريان » فأى البابين أفتح على التلميذ الغض ، باب تمام أمسى وهو لا يطيقه ، أم باب زيادة الواو ، وهو لا يسيغه ؟ على أن الواضع — عفا الله عنه — إنما قصد إلى الأول لأنه ذَيَّل به المثال باب الحال . واللجوء إليه يصدم عقول الأطفال الضئيلة بين الناقص والتام ، ويفتح عليهم بابا من التخليط ما له رتاج !

وبينما نجد الكتاب فى تطبيقاته يحاور التلميذ محاورة اللغز المحاجى ، نجده يقف عند بعض الأمثلة فى بابين متباعدين لا يعدوهما ، فهو يمثل فى باب الحال ، لشبه الجملة بقوله « وزن القطن فى غِرارة » فإذا عددت خمسة أبواب بعدها تقع فى خمس عشرة ورقة ، وجدته يمثل فى باب النعت ، لشبه الجملة بقوله : « رأيت قطنا فى غرارة » يا لله ، أضاق الأفق عن كل شىء إلا عن القطن والغرارة ، تحيرهما بين باب الحال وباب النعت ؟ ولو أن الواضع أجرى موازنة بين المثالين فى البابين لقلنا حكمة حكيمة ، ولكن الذى اضطره إلى ذلك الكسل العقلى ، ولا نقول الإجداب العقلى ، فذلك ما لا نرضاه وصفاً للجلة الفضلاء .

وبعد : أفأنتم مصرون بَعْدُ على أن نذوق غصص هذا الكتاب وهذا المنهج ؟ إن كان ذلك فحسبكم الله على ما فرطتم فى جنب التلاميذ والأساتيذ ! ولى عودة فى نقد المطالعة والمحفوظات إذا شاء الله .

كامل السيد شاهين

المدرس بالمدارس الأميرية

تجار الأدب . . .

للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

لا نقصد أولئك الذين يبيعون الكتب ناشرين أو وراقين ، بل نعني أولئك الذين يتصدون للآداب والعلوم والفنون والفلسفة فيؤلفون فيها ، ويطلعون على الجمهور بثمرة قرائحهم ، لا يخدمون بذلك أدباً ولا يفيدون علماً ، بل يطلبون ربحاً ويطمعون فى ثروة جعلوا من الأدب تجارة ، وأنزلوا العلم منزلة السلع الرخيصة .

ومن سوء الحظ أن هذه الظاهرة صحبت الحرب الأخيرة منذ بدايتها ، إذ انقطعت أسباب الحصول على الورق ، وتسنى لهؤلاء القوم بأساليب لا تمت إلى الشرف بصلة أن يحصلوا على الورق اللازم للطبع ، ووجدوا المطابع متعطشة فدفعوا إليها بهذه الثمار الفجة ، وخرجت إلى السوق هذه الكتب العجيبة ، ليس فيها أثر من جهد أو بارقة من تفكير ، وإنما هى ألفاظ مرسوصة يسود بها أصحابها صحائف الورق ، ويملأون دفتى الكتب .

وكيف تريد أن يكون الأمر غير ذلك ، وبعض هذه الطائفة يخرج فى كل شهر كتاباً ، لو أنفق فيه عالم يمتاز بالضمير ويتصف بالتثبت أعواماً لوجد أنه فى حاجة إلى مزيد من الأعوام .

سئل أحد الناشرين: كيف تطبع لفلان ؟ فقال : «إن الجمهور يقبل عليها كما يقبل على الفول السودانى » وهو تشبيه يقصد به إلى المدح والذم على السواء . ولعله كان يرمى إلى التحقير فما عهدنا أن الكتب توصف بالتشبيهات المادية القليلة الشأن .

ولقد مضى زمن الحرب الذى انقلبت فيه الأوضاع ، فعادت سوق الأدب إلى سابق حريتها ، ووجد الفضلاء سبيلهم إلى المطابع بالطرق الكريمة التى لا تنافى الذوق أو الشرف ، فانكشف أمر أولئك القوم وباءت كتبهم بالخسران، وزحمت رفوف الوراقين وأكبر الظن أن مصيرها سوف يكون إلى باعة «الفول السودانى» يلفون فيها بضاعتهم فى « القراطيس » .

ولعلك تعجب معى وتسأل عن السر فى بضاعة القوم كيف يتسنى لهم التأليف فى كل شهر ، وهل اتسعت مداركهم ، وسمت عقولهم ، وارتقى تفكيرهم إلى الحد الذى يسمح لهم بتسويد صحائف كتاب جديد كلما طلع الهلال الجديد .

إنهم يفعلون أحد أمرين : الأول السطو على بعض الكتب الأجنبية ، ثم نقل فكرتها نقلاً خاطئاً ، ثم ينسبون الكتاب إلى أنفسهم زوراً وبهتاناً . وهذه المسألة تعرف بالسرقة الأدبية . وهؤلاء هم لصوص الأدب . يريدون أن يقول الناس عنهم إنهم من كبار المؤلفين الذين يُرجع إليهم ، وهى نزعة تخلو من الأمانة على كلا الحالين ، فهم غير أمناء فى نسبة موضوع إلى أنفسهم وحقيقته لغيرهم ، وغير أمناء فى نقل الفكر ، ولو كانوا قادرين على النقل وحسن التعريب لأعلنوا ذلك .

والأمر الثانى أن يتجهوا إلى الترجمة الصريحة ، وقد زادت هذه الحركة فى الأيام الأخيرة ولكننا نرى المتصدين لها ، أو أغلبهم، لا يحسنون التصرف ولا يجيدون التعريب ، لقلة خبرتهم ، ونقص علمهم بالموضوع ، وعجزهم فى كلتا اللغتين الأجنبية التى ينقلون عنها ، والعربية التى ينقلون إليها .

ولكنه بريق الكسب يستهوى هؤلاء وأولئك فيدفعهم إلى التسرع ، والسرعة كما قال الزيات فى مطلع كتابه « دفاع عن البلاغة » إحدى آفاتها . وهى لعمرى إن كانت مزية الحضارة الحديثة فهى آفة الإنتاج الجيد فى كل شىء ، مادياً كان أم معنوياً ، وهى فى الآثار العلمية والأدبية أخطر .

كنا فى صدر الشباب نحضر العلم فى الجامعة المصرية على أستاذنا الدكتور منصور فهمى ، ومن أقواله المأثورة التى لا يزال طلابه يحفظونها عنه ويروونها فى المناسبات « اطلبوا العلم للعلم » وكان بعضنا يتحدث إليه فى وجوب السعى لدى أولى الأمر فى الحكومة ليفسحوا المجال للخريجين فى الجامعة والحاصلين على إجازة كلية الآداب فى وظائف الدولة ، فكان يرد عليهم بقولته المأثورة « اطلبوا العلم للعلم » . وما كنا فى ذلك الوقت نحسن تفسير هذا الكلام أو نفهم مراميه البعيدة . هل يطلب العلم للعلم وهل يفضل أحدنا العلم على المال ؟ وهل يغنى العلم وحده فى سد مطالب الحياة ؟ .

لا نقول إن العلم سبيل الحصول على المال ، ولو عكسنا القضية لصح المقال ، إذ الواقع من التاريخ أن المال كان غذاء العلم ، ولقد

عاش العلماء فى قديم الزمان على بذل الملوك والأمراء والأغنياء وما كانوا ينفقونه عن سعة فى سبيل العلم ، وأوقاف الأغنياء المحبوسة على مصلحة العلم والعلماء خير شاهد على ذلك . وكان العلماء من جهتهم زاهدين لا يحفلون بملبس أو مشرب أو مأكل لأن همهم كله منصرف إلى طلب العلم ولذتهم فى تحصيله . وكانت أيديهم تزخر فى بعض الأحيان بالمال فينفقونه فى أوجه الخير والبر .

الخلاف إذن فى الغاية ، هل العلم غاية فى ذاته تطلب لذاتها أم وسيلة لغاية أخرى هى المال ؟

ولا مراء فى أن التضحية بالعلم والأدب فى سبيل الأهداف المادية هو الإنحطاط والإسفاف ، ومَنْ كانت غايته الثروة فليطلبها فى تجارة السلع المختلفة فهى أكثر للمال إدراراً . ولقد حكى أرسطو فى كتاب السياسة أن أحد فلاسفة اليونان الأقدمين عيّره القوم بقلة ذات اليد والانصراف عن الدنيا ، فاعتزم فى نفسه أمراً ، فذهب فى الشتاء إلى أصحاب المعاصر واستأجرها منهم بأجر زهيد ، فقالوا : هذا مجنون ماذا يفعل بالمعاصر فى هذا الوقت وليس لها عمل ؟ فلما جاء الصيف ، وأراد الزراع عصر العنب لاستخراج النبيذ ، طلب منهم أجرة مضاعفة ، ولم يجدوا منه الدفع لأنه كان قد احتكر جميع المعاصر . وأرى من هذا الأمر ثروة كبيرة ، فأثبت للقوم أن الفلاسفة لو أرادوا المال لحصلوا عليه ، ولكن بغير طريق الفلسفة !

والسؤال الآن : هل نترك هذه الطائفة أحراراً فى أعمالهم يسيئون إلى العلم والأدب ، ويفسدون الذوق ، ويشيعون الخطأ ، ويذيعون الباطل ، أم يوكل أمر الكتب إلى هيئة تميز بين الغث والسمين والصحيح والفاسد فلا تجيز إلا الصالح ؟

يقول قوم نحن فى عصر الديمقراطية وأساسها الحرية وعلى الخصوص حرية الرأى والفكر ، فكيف تريد أن تحد من هذه الحرية التى ناضلت البشرية فى سبيلها أجيالاً طويلة ؟ إنكم لو فعلتم ذلك ، لرددتم الإنسانية إلى أظلم عصورها وأحلك أزمنتها ، يوم كان عقاب الأحرار أن تحرق كتبهم ويلقى أصحابها فى غياهب السجون .

والقياس هنا مع الفارق ، لأن فلاسفة القرون الوسطى كانوا يطلعون على الناس بثمرة أفكار جديدة ينتقدون فيها الآراء الشائعة من قديم الزمان ، أما مؤلفو مصر فى هذا الزمان ، فإنهم لا يفكرون تفكيراً جديداً ، ولا ينتقدون قديما ، ولا ينتقدون كشوفاً حديثة ، بل ينسخون كتب غيرهم ويغيرون عليها .

مهما يكن من شىء ، فأنا من أنصار الديمقراطية والحرية ، ولا أحب أن أحجر على فكر الناس ، ولا على الطريقة التى يذيعون بها أفكارهم ، ولكن من واجب الناقدين أن يبصروا الجمهور بحقيقة ما يظهر من تآليف ، وقد كثر عندنا المتعلمون الذين يحسنون تقدير المؤلفين ... فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض .

أحمد فؤاد الأهوانى

لمحات قضائية
في قتل عثمان
للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

هذه لمحات جديدة في قتل عثمان من ناحيته القضائية ، تضع الحق في نصابه ، وتبين هل كان في قتله قصاص أولا ، وهل سلك المطالبون بدمه الطريق المشروع له أولا ، كما تبين كيف سكتوا عن ذلك بعد أن صار أمر المسلمين بيدهم .

فأما عن الأمر الأول فإن الثائرين على عثمان رأوا أن يأخذوه غيلة بعد أن طال حصارهم له ، فتسوّروا داره من دار مجاورة لها ، ونزل عليه جماعة منهم فيهم محمد بن أبي بكر ، ولم يكن عنده إلا زوجه نائلة بنت الفُرافصة ، لأن أهله ومواليه كانوا يشتغلون بالدفاع عنه أمام باب داره ، فدخل عليه محمد بن أبي بكر فأخذ بلحيته ، فقال له : يا محمد ! والله لو رآك أبوك لساءه مكانك . فتراخت يد محمد حين سمع هذا من عثمان ، وخرج عنه ولم يفعل به شيئاً ، فلما خرج دخل عليه رجلان من الذين تسوّروا داره فقتلاه ثم خرجا .

فصمدت زوجه نائلة بعد خروجهما وصرخت : قتل أمير المؤمنين . فدخل من كان يدافع عنه فوجدوه قد فاضت نفسه ، ولم يمكنهم أن يسألوه عمن قتله .

فانحصر شهود قتله في زوجه نائلة ، وقد قام علي بن أبي طالب بالتحقيق في ذلك عقب وقوعه ، فذهب إلى نائلة وقال لها : من قتله وأنت كنت معه ؟ فقالت : دخل إليه رجلان ، وقصت خبر محمد بن أبي بكر .

فأحضر علي محمداً وسأله عن ذلك ، فلم ينكر محمد ما قالت نائلة ، وقال : والله لقد دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فلما خاطبني بما قال خرجت ، ولا أعلم بتخلف الرجلين عني ، والله ما كان لي في قتله سبب ، ولقد قتل وأنا لا أعلم قتله .

وقد انتهى تحقيق علي في قتل عثمان بذلك ، فلم تعرف فيه نائلة ممن دخل على عثمان إلا محمد بن أبي بكر ، ولكنها لم تشهد بأنها رأته يقتله ، بل ظاهر شهادتها أن قتله كان بيد ذينك الرجلين اللذين لم تعرفهما ، وحينئذ يكون قاتله مجهولا ، وإذا كان قاتله مجهولا فإنه لا يكون في قتله قصاص ، بل يكون نصيب قضيته أن تحفظ إلى أن يظهر قاتله ، كما يفعل الآن في كل جناية لا يوجد شهود لها ، ولا يصح أن يؤخذ محمد بن أبي بكر فيها بشيء ، لأنه عزم ولم يفعل ، والعزم لا يؤاخذ عليه في الشريعة الإسلامية ولا في غيرها من الشرائع .

وأما عن الأمر الثاني فإنه لما بويع علي بالخلافة طالبه طلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام ومعاوية بن أبي سفيان وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بدم عثمان ، ولكنهم لم يطلبوا ذلك بالطرق السلمية المشروعة في القضايا ، بل ذهب طلحة والزبير في عدة من الصحابة إلى علي فقالوا له : يا علي ، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود ، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل ، وأحلوا بأنفسهم .

فقال لهم علي : يا إخوتاه ، إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون ؟

قالوا : لا

فقال لهم : إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور : فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا ، حتى يهدأ الناس ، وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخذ الحقوق ، فاهدؤوا عني ، وانظروا ماذا يأتيكم ؟ ثم عودوا .

ولا شك أنها كانت فتنة جامحة ، وقد اشترك فيها ألوف من الناس ، فلا بد من التريث في أمرها كما رأى علي ، ولا سيما أنه لم يعلم من قام منهم بقتل عثمان ، حتى يتعين فيه القصاص ، ويؤخذ دمه بدمه ، ثم يحكم على من عداه بقدر تبعته في تلك الفتنة ، وقد كانوا من الكثرة بحيث يجهل أكثرهم ، ولا يمكن تمييزهم إلا بعد مضي زمن يكفي لتمييزهم .

ولكن هذا لم يرض طلحة ولا الزبير ولا معاوية ولا عائشة ، فنادوا بالحرب ، وانتقل الأمر بذلك من قضية يجب أن تؤخذ

بالسلم كما تؤخذ سائر القضايا إلى حرب مفاسدها أكثر مما يرونه مفسدة ، فقابلهم على حرباً بحرب ، وجرى الأمر بينهم في ذلك إلى أن قتل طلحة والزبير وعلى ، وآل أمر المسلمين بعدهم إلى معاوية .

وأما عن الأمر الثالث ، فإن معاوية لما آل الأمر إليه لم يعد النظر في قضية عثمان ، ولا شك أنه وجد نفسه أمام جناية قتل لا يعلم القاتل فيها بيقين ، فلا يمكنه أن يأخذ أحداً فيها بقصاص ، كما وجد نفسه أمام كلمة قد اجتمعت ، وأرادت أن تنسى الماضى بما له وما عليه ، لتأسو الجروح ، وتقضى على الفتن ، فيجتمع الشمل ، ويعود المسلمون إخواناً ، ويتموا ما بدأ به السلف الصالح من الفتوح ، ويعملوا متعاونين على إعلاء كلمة الإسلام .

فلم يجد معاوية مع هذا إلا أن يترك أيضاً أمر النظر فيمن اشترك في تلك الفتنة ، حرصاً على جمع الكلمة ، ونزل في ذلك على مثل ما نزل عليه على ، رضى الله عنهم جميعاً .

عبد المتعال الصعيدي

علوم البلاغة فى الجامعة

للأستاذ على العمارى

— ٥ —

يعيب علينا بعض الكاتبين أننا نستأنس بما كتبه المتقدمون فى مقالاتنا هذه التى ننقد بها بعض آراء الجامعة فى البلاغة ، ويزعمون أن المتقدمين كانوا أصحاب أذواق مريضة ، ومن العجب أن حجة الكاتب على مايكتب هو ماينقله عن بعض كتابنا المحدثين ، أفيحرم علينا أن نستضىء بإمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجانى ، ويحل له أن يتكىء على مايقوله بعض المحدثين ؟ ليفتنا هؤلاء العلماء الاعلام الذين وجدوا فى أدب عبد القاهر وبلاغته غذاءهم وريهم ، وإذا أنكر منكر على هذا الامام شيئاً فلن يكون هذا الشىء ذوقه . يعرف ذلك العالمون المنصفون ، ثم أنى كنت اعتزمت أن أرد على هذا الذى يجادلنى على صفحات « الرسالة » ، ولم أجد سبيلا أهدى إلى الحق من أن أحتكم إلى عقول قراء « الرسالة » وكثيرون منهم يفهمون هذه المسائل على وجوهها الصحيحة ، وهى بين أيديهم .

وعجيب أن نعيب على المتقدمين جهودهم فى خدمة علوم البلاغة ونحن لم نفعل شيئاً ، لقد ظل علماء البلاغة منذ القرن الثانى للهجرة إلى أوائل القرن السابع وهم يُنشّئون هذه العلوم وينمونها ، حتى اكتملت قواعدها على يد أبى يعقوب يوسف السكاكى ، فلما جاء من بعدهم من العلماء وقف بهم الاجتهاد ، ولكنهم جاهدوا وجهدوا ، وخدموا هذه العلوم بما لانرى موضعاً لتفصيله الآن ، فماذا صنعنا نحن ؟ ملأنا أذهان التلاميذ ، وغرف الدراسة بالعيب على المتقدمين والنيل منهم ، والطعن فى كفاياتهم ، ولكن من غير أن نبنى قاعدة ، أو نهدم على بصيرة ونصفة قاعدة ، وإنى لأرى خير مايتمثل به فى هذا الوضع المثل العربى : « أسمع جعجعة ولا أرى طحنا » .

وقد سمعت أن فضيلة الأستاذ الشيخ أمين الخولى يريد أن يرد على مقالاتنا هذه التى يسميها « حركة الرسالة » بكتاب فى البلاغة يخرجه للناس ؛ وإنا منتظرون بفارغ الصبر هذا الكتاب انتظار المتعطش إلى التجديد فى هذه العلوم ، وقد نكون أول من يرفع الصوت فى امتداحه إذا وجدنا فيه مايمدون به ، ولعله لا يكون صورة لهذه الرسائل الصغيرة التى أخرجها الشيخ ونقدنا بعضها ، ثم نعود إلى مناقشته فى بعض مسائل القصر إتماما لما كنا بدأنا به .

٢ — لا يرتضى تعريف العلماء للقصر الاضافى فيطالعنا هو بتعريف آخر دعاه اليه — فيما نظن — رغبته فى أن يربط علوم البلاغة بعلم النفس وهو نوع من التجديد ، ووجد أنسب مايلصقه بالقصر الاضافى هذا الذى يسميه علماء النفس « تداعى المعانى » فما يمنع أن يكون القصر الاضافى نظر فيه إلى هذه الفكرة النفيسة ؟ والذى حفظناه عن مشايخنا وقرأناه فى كتب العلماء أن القصر الإضافى يكون حين تتمثل صفتان فى ذهن ، فقد يعتقد اجتماعهما فى موصوف وأنت تريد أن تبين له خطأ هذا الاعتقاد فيكون قصر الافراد ، وقد يعتقد ثبوت احداهما دون الأخرى وأنت تريد أن تعكس عليه اعتقاده فيكون قصر القلب ؛ وقد يحار فى أمر الصفتين فاذا أثبت له إحداهما ونفيت الأخرى كان قصر التعيين ؛ فمدار القصر الاضافى اذن على صفتين أو

أكثر في ذهن المخاطب وأمام بصيرته ، وله فيهما اعتقاد ، لكن الشيخ يقول : « وأساس القصر الاضافي مايقرره النفسيون ، ويسمونه تداعي المعاني ، أي أن المعاني يرتبط بعضها ببعض بطريقة الضدية أو المناقضة أو المنافاة أو التلازم أو التكامل . والقصر الاضافي في الكلام قائم على إفراد معنى من المعاني لا على أنه لايوجد سواه في الموصوف ، ولكن على أساس أن تبعد سواه هذا عن تفكير المخاطب ، أي أن هذا النوع حاجز بين الصفة التي تريد إثباتها للمتحدث عنه وبين ما يمكن أن يقفز إلى ذهنه من الصفات عند ذكر هذه الصفة ، فمثلا تقول ما زيد إلا رياضي ، فعند ذكر كلمة رياضي يحدث تداع في المعاني فتجول في الذهن صفات أخرى نحو مهندس . فلكي . موسيقي . مخترع . أديب ولكن إذا قصرت وأتيت بالأسلوب على هذا النحو فقد أبعدت كل هذه الوجوه » وهذا كلام واضح وصريح في أن المقصود من القصر هو إبعاد ماعسى أن يجول بذهن المخاطب من الصفات التي تتصل بهذه الصفة المثبتة ، وكأنه ليس عند المخاطب صفة ينكرها وأخرى يثبتها ، ويبنى على هذا — ولا شك — فساد هذا التقسيم الذي ذكره العلماء للقصر الاضافي . وقبل أن نرد على الشيخ نحب أن نذكر له وإن يعيب علينا استدلالنا بكلام المتقدمين ، أن الشيخ عبد القاهر رحمه الله ، تنبه لهذه الفكرة ، ولكنه لم يكن يعرف تداعي المعاني أو تناديها فلم يملأ الجو صياحا وعجيجا ، بل مر يذكر المسألة في بساطة وسهولة فقال في كتابه دلائل الاعجاز « واعلم أن قولنا في الخبر إذا أخر نحو ما زيد الا قائم » أنك اختصصت القيام من بين الاوصاف التي يتوهم كون زيد عليها ونفيت ماعدا القيام عنه ، فانما نعني أنك نفيت عنه الأوصاف التي تنافي القيام نحو أن يكون جالساً أو مضطجعا أو متكئا أو ما شاكل ذلك ، ولم ترد أنك نفيت ماليس من القيام بسبيل إذ لسنا ننفي عنه بقولنا : ماهو إلا قائم أن يكون أسود أو أبيض أو طويلا أو قصيراً أو عالما أو جاهلا ، كما أنا إذا قلنا : ماقائم إلا زيد لم نرد أنه ليس في الدنيا قائم سواه ، وإنما نعني ماقائم حيث نحن وبحضرتنا وما أشبه ذلك » ونلاحظ أن الشيخ عبد القاهر كان دقيقاً كل الدقة فلم يقل إن هذا في القصر الاضافي ، وانما ساقه على أنه فكرة عامة في القصر ، وأمثلته صالحة لأن تكون قصرا حقيقيا تحقيقيا أو ادعائيا ، وأن تكون للقصر الاضافي ولكن بشرط أن يعين المخاطب في ذهنه المثبت والمنفي . ثم نرد على الأستاذ فنقول له : ارجع إلى شواهدنا لقصر الاضافي فسترشدك إلى أن النزاع يكون في شيئين ماثلين في ذهن المخاطب ، ولنسق نحن جملة من الشواهد الفصيحة يقول الله تعالى : إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر . وما أنت بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير . ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم . أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا . لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون . ويقول صلى الله عليه وسلم : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب . إنما أنا قاسم والله يعطي . وهكذا إذا تتبعنا الأمثلة التي صرح فيها بالمثبت والمنفي وجدنا أن كليهما معلوم للمخاطب وله فيه نظرة ، فاذا كان المنفي عاما لم يكن هذا من القصر الاضافي ، ولذلك يقول بعض العلماء إن قول الغطمش الضبي :

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

من القصر الحقيقي ، ولست — والله — أدري من أين جاء للشيخ أن الغرض من القصر الاضافي أن نحول بين ذهن السامع وبين صفات أخر تتوارد عليه لها بهذه الصفة المثبتة صلة ورباط ؟ !

٣ — وقد انتهى العلماء منذ زمن بعيد من تقسيم القصر الاضافي ، ووقفوا عند قصر الافراد والقلب والتعيين باعتبار حال المخاطب في اعتقاد الشركة أو العكس أو التردد ، ولكن الأستاذ يتنبه إلى أن القسمة العقلية كانت تقتضي قسما رابعاً وذلك في حال ما إذا كان المخاطب خالي الذهن ، وينعى على العلماء اهمالهم هذا القسم الرابع يقول « وعلى ذلك يتضح لنا أن اغفال الحالة الرابعة وهي حالة خلو الذهن في باب القصر غير مبني على نظر صحيح » . « فمثلا يجوز لك أن تقول لخالي الذهن تماما : لا اله إلا الله اعتمادا على ما يقدرونه في علم النفس من أن الخطأ الأول يصعب إصلاحه ، والصورة الأولى يعسر محوها » .

« أما نحن فنقول لهم إن أسلوبكم يقتضي أن ترددوا مواقف المخاطب بين هذه الأحوال الأربعة فلم أغفلتم الحالة الرابعة ؟ » والذي نؤكده أن تقسيم العلماء مبني على نظر صحيح ، وأنه لاحالة

رابعة هناك حتى نتهمهم بأنهم أغفلوها ، وأدنى نظر فى طبيعة القصر الاضافى يرشدنا إلى ذلك فلا يدفعه أن يكون المخاطب عارفا بالمثبت والمنفى فأنت تقول له : شوقى شاعر لا كاتب إذا كان يعلم هاتين الصفتين فى شوقى فيثبتهما معا أو ينفى احداهما أو يتردد فيهما ، أما إذا قلت له هذا القول وهو يجهل كل الجهل شاعرية شوقى وكتابته كان كلامك خلفاً من القول ، وبعيدا عن اعتبار البلغاء ، فاذا أردت أن تلاحظ هذه العلة النفسية ، وأن تؤكد له من بادىء الأمر رجعنا إلى جهة أخرى وهى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر ، ويقال حينئذ إن المتكلم نزل المخاطب الخالى الذهن منزلة المنكر أو المتردد أو العاكس ويرجع الأمر إلى قسم من هذه الأقسام الثلاثة ، والعلماء إنما يذكرون المقاسم الأصلية ، أما الأمور المنزلة فيرجعونها إلى مشابهاتها ، ومعروف ذلك عند من درس فهم يجعلون أضرب الخبر ثلاثة ، ثم ينزلون المنكر منزلة غير المنكر ، وينزلون غير المنكر منزلة المنكر ، وهكذا . ولا يحق لنا أن نقول إن هذه أضرب أخرى للخبر ، على أن المثال الذى ذكره الأستاذ (لا اله الا الله) لخالى الذهن لا يصح مطلقاً أن نجعله من القصر الاضافى ، وانما القصر فيه حقيق تحقيق ، وهذه الأقسام الثلاثة كما هو معروف لاتتأتى فى القصر الحقيقى .

٤ — وهذا بحث جديد يريد أن يطالعنا به أستاذ الجامعة . العلماء قصروا فى أغراض القصر ، وحصروها فى النفى والاثبات وهو أمر يجب أن نؤاخذهم به « والذى نأخذه على صاحب الايضاح ومن لف لفه من البلاغيين أن شعورهم كان يجب أن يتسع حتى يشمل ماوراء القصر باعتباره من أنواع القصر ، فكان يجب أن يوسعوا حسهم اكثر من ذلك فليس القصر للاثبات والنفى بل هو للتضييق والتحديد » . « فلعله ثبت مما قلناه إن للقصر مرامى أخرى وراء المعنى النحوى أهملها البلاغيون » وهذه الأغراض التى ذكرها ومثل لها هى غرضان : التوهين ومثل له بقوله تعالى « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » والتأنيب ومثل له بقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام « ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم » قال : إذا نظرنا إلى قوله تعالى : ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً . وجدنا أن التعبير بكلمة رسول عنصر أساسى فى المعنى قصد به التوهين من شأن الرسول فى هذا المقام . محمد ده يطلع إيه ؟ مرسال زى بقية المراسيل بيجى ويروح . القصر هنا واضح فى أن المقصود به التوهين من أثر الرسول فى الدين ولذلك جاءت تسميته هنا برسول ولو قال نذير . هاد . سراج . لقطع الطريق على هذا الغرض » وقال : « ماقلت لهم . . الآية . هذا التأنيب المؤلم مستفاد من وراء الألفاظ ، وهو هنا المرمى البلاغى للقصر ويدل عليه » وقبل أن نرد على هـذا الـكلام المتداعى نذكر ماقاله العلماء فى أغراض القصر حتى ننفى عنهم تهمة أنهم ضيقوا حسهم أو قصروا . قالوا من دواعى القصر (١) داعى القصر الحقيقى التحقيق بيان الواقع (٢) داعى القصر الادعائى المبالغة وعدم الاكتراث بما عدا المقصور عليه (٣) الرد على المخاطب فى قصر القلب وقصر الأفراد (٤) تعيين المبهم عند المخاطب فى قصر التعيين (٥) قد يقصد من القصر مجاراة الخصم (٦) التنبيه على أمر هو مقتضى الكلام والغرض منه وجعل القصر وسيلة اليه وذلك كثير فى انما (٧) تنزيل غير المنكر منزلة المنكر لاعتبار مناسب فيخاطب باسلوب القصر [1] .

أما ردنا على ماذكره من أغراض فواضح أنه ليس القصد فى الآيات الاولى الحط من مقام الرسالة فى الدين ، وهل يريد الله سبحانه وتعالى أن يقول إن محمدا ليس شيئاً ؟ ! لا . ياشيخ ! المسألة أن الله يقول لهم : لامعنى لتعلق الدين بمحمد فان الرسل قبله ماتوا وسيموت هو مثلهم ولا ينتهى الدين الذى يدعون اليه بانتهائهم لأن مهمتهم الرسالة والتبليغ ، والرسالة ولو أنها أمر له قيمته وخطره لكن لايجب أن يتعلق ايمان الناس بمدة حياة صاحبها فهو انما يدعو الى الله . ولعل مما يدل على ذلك أن العرب لم يفهموا أن القصد التوهين من شأن الرسالة ، وهذا أبو بكر يستشهد بها يوم وفاة الرسول ، فهل كان يريد أن يقول لهم : إن محمدا ليس شيئاً فى الدين ؟ مانظن ذلك ولا نرضى لمسلم أن يظنه . وأما التأنيب فى الآية الثانية فليس مستفاداً من القصر وإنما هو مستفاد من السياق . استفهام تعجبى ، واتخاذ آلهة من دون الله ، وهو صادر عن النبى ، وهو المدعى عليه أنه دعاهم

(١) مذكرات الشيخ سليمان نوار ص ١٨٨

إلى عباده وأمه « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ » هذا كثير ، ومدعاة إلى تأنيبهم ، أما القصر فلا يفيد التأنيب ، وهب عيسى عليه السلام لم يقل إلا جملة القصر أكان يستفاد منها التأنيب ؟ وبذلك تسقط دعواه أن التوهين والتأنيب غرضان من أغراض القصر ، ووقفنا عند الأغراض التي ذكرها المتقدمون ، ولا نزال في انتظار الجديد .

علي العماري
المدرس بمعهد القاهرة الثانوي

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

للأستاذ محمود الخفيف

— ٣٤ —

الفردوس المفقود : موضوع القصيدة الكبرى : —

في سنة ١٦٥٨ أخذ ملتن كما أسلفنا يتوفر على نظم قصيدته الكبرى ، ومن ثم تعد هذه السنة بدء هذا العمل العظيم . وإن كانت أجزاء قليلة من القصيدة قد نظمت قبل ذلك كما يقول ابن أخته إدوارد فيلبس ، ولم تنته سنة ١٨٦٣ حتى فرغ الشاعر الضرير كما يقول إدوارد كذلك من هذه القصيدة العظيمة التي تبلغ زهاء خمسة آلاف وخمسمائة سطر ، والتي تستغرق نيفا وثلثمائة صفحة متوسطة الحجم ، والتي تعد من أعظم الآثار الأدبية في أدب الدنيا قديمه وحديثه ، والتي يتبوأ بها ملتن مكانه بين أفذاذ شعراء الملاحم الثلاثة : هوميروس ودانتي وفرجيل إن لم يبزهم جميعاً في أكثر من ناحية من القول كما يذكر كثير من النقدة الملحوظي المكانة في نقد الأدب والشعر .

ويمكن تلخيص موضوع القصيدة في كلمات قليلة ؛ فهي قصة إبليس بعد أن فسق عن أمر ربه ، فقد تمرد هذا الشيطان الأكبر ومن اتبعه من الغاوين واجترأ على محاربة خالقه فأخذهم الله أخذاً قويا فإذا بهم جميعاً في جهنم جثيًّا ؛ ثم خلقت جنات عدن وخلق آدم وحواء ودلهما الله على الشجرة المحرمة ونهاهما ربهما أن يقربا هذه الشجرة ، فوسوس لهما الشيطان فأكلا منها وعصيا ربهما فأخرجهما من الجنة .

وحق للمرء أن يعجب كيف يخلق الشاعر من هذه القصة على بساطتها قصيدة بلغت هذا الذي بلغته من الطول ، وما فيها منظر أو فكرة مما يصح حذفه ، ثم ما فيها موضع تطرق اليه شيء من الضعف أو شيء مما يبعث السأم في نفس القارىء ، بل إنها جميعاً تبلغ من السمو والقوة مدى يتخاذل دونه جهد المبدعين ويتقاصر عنه افتنان المفتنين فما يقع المرء فيها إلا على مايعجب ويطرب وما يشيع في النفس نشوة روحية قوية تشعرها بسر العبقرية وسلطانها وتذرها مسحورة مأخوذة حتى ينقضي هذا الحلم الجميل .

ولكن دواعي العجب لاتلبث أن تزول إذا ذكر المرء مبلغ ما أوتي الشاعر من خصوبة الخيال وقوته ، ومارزق من دقة الوصف وروعته ، وما وهب من قدرة على الابتكار والتفنن في خلق الصور الذهنية الأخاذة والتصرف في مذاهب البيان ، هذا إلى مايشيعه في قصته من فلسفة وعلم ، وما يدخله بين الفينة والفينة من أساطير الأغريق وآلهتهم وسائر مخلوقاتهم مما يملأ قصيدته بألوان من السحر وأفانين من كل مايفيد ويمتع .

والقصيدة ليست بنت هاتيك السنوات الخمس التي نظمها فيها ، وإنما هي متجه خياله وأرب نفسه منذ أول عهده بالشباب ، فقد كان أمله الذي ملأ خياله منذ حداثته أن ينظم قصيدة تجعل له ولأمته مكانا عليا في أدب هذه الدنيا ؛ وإلى ذلك أشار في قصيدته التي ناجى فيها لغة قومه وهو في سن التاسعة عشرة كما سلف أن ذكرنا ذلك في موضعه ، وإن لم يك عين موضوع تلك القصيدة بعد .

ولم يتعجل ملتن النظم ، بل أخذ يتهيأ لما يطمح إليه فينهل من المعرفة مايسعه أن ينهل ، وفي نفسه أمل يلازمه ولا يبرح يذكره أنه سوف ينظم في يوم ما ملحمة كبرى تسلكه في الخالدين النابهين من شعراء الدنيا ، أما ماذا تدور عليه الملحمة فذلك أمر لم يتبينه يومئذ وحسبه أن يطلب لنفسه ماوسعه من زاد في الفلسفة والعلم .

وكان يفكر كما ذكرنا قبل في الملك آرثر وعصره وبطولته وسيرته عله يستخرج من ذلك ملحمة قومية كان يريد أن

يسميها الآرثريادا ، وتقع إشارتان منه إلى ذلك إحداهما فى قصيدة أخرى نظمها عقب عودته إلى وطنه ؛ ولكنه مالبث أن طرح موضوع الملك آرثر جانباً ولم يعد إليه بعد ذلك .

وظل ملتن متعلقا بأمله فى نظم قصيدة كبرى ، وكان هذا التعلق المتصل بالأمل المنشود هو الفكرة المتسلطة فى حياته كلها من جميع أقطارها ولذلك لم يأل جهداً فى الافادة مما حوله فكان انقطاعه للدراسة فى هورتون ، وكانت رحلته إلى إيطاليا وكان منصبه فى الدولة وكانت كتاباته الدينية والسياسية ، كل أولئك كان جوانب لدراسته وموارد لثقافته قصد إلى ذلك أم لم يقصد إليه .

وانقطعت صلته بالشعر زهاء عشرين عاما إلا ما كان من مقطوعاته ، ولكن خيال القصيدة الكبرى لم يبارحه قط ، وليس أدل من ذلك على شدة إيمانه بأنه خلق لرسالة فى الشعر وعلى عظم إخلاصه لفنه ، ولقد رأينا ما أحاط به من المحن والكوارث فلم يصرفه ذلك عما خصص له حياته ، وإن واحدة منها لكفيلة بأن تقعد بالمرء عما يخف كثيراً عن ذلك الذى اضطلع به من عبء .

وربما كان خيراً له وللأدب أنه لم ينظم ملحمته الكبرى إلا بعد أن بلغ الخمسين من عمره فلعلنا كنا لو نظمها فى صدر شبابه لانظفر منه بما ظفرنا به من آثار خبرته بالحياة والناس وطول باعه فى البيان وضلاعته فى المعرفة وانصقال فنــــه وما اكتسب شعره من فحولة وقوة . ولقد حال بينه وبين تحقيق أمله فى شبابه ورغبته كما رأينا فى الاستزادة من الثقافة استزادة تكافىء ما يطمع أن ينهض به من عمل ضخم فى دنيا الفن ، ثم حيرته فى اختيار الموضوع الذى تدور حوله قصيدته ، وجاءت بعد ذلك حربه على القساوسة ثم اشتغاله بالسياسة فأخرته على رغمه تلك السنوات الطويلة .

ولقد هم قبل تلك الشواغل سنة ١٦٤١ بالنهوض بما منته نفسه به ، إذ أنه يتبين من قائمة كتبها الشاعر بين سنتى ١٦٤٠ ، ١٦٤٢ أنه فكر فيما يقرب من مائة موضوع ، وكان ثلثا هاتيــــك الموضوعات مقتبساً من الانجيل ، وكان همه متجها إلى واحد من بينها سماه تارة « الفردوس المفقود » وتارة « آدم يخرج من الجنة » فقد وجد فى هذه القائمة بيان بأسماء شخصيات لدرامة برسمها وبيان لما تكون عليه تلك الدرامة وقد وضع لذلك عدة صور لعله كان يفاضل بينها ، ولا زالت تلك القائمة محفوظة كأثر من آثار الشاعر العظيم فى مكتبة كلية ترينتى بجامعة كمبردج .

ويتبين من ذلك أن ملتن كان يومئذ يريد أن يلبس موضوعه لباس الدرامة لا الملحمة ، ويؤيد هــذا الرأى ما ذكره فى هذا الصدد إدوارد فيليس، وذلك أن الأسطر التى يخاطب بها الشيطان الشمس فى أوائل الكتاب الرابع من الملحمة قد نظمت قبل بدء الشاعر فى نظم الملحمة بنحو خمسة عشر أو ستة عشر عاما وأنها نظمت لتكون فى مستهل عرض للمأساة .

ثم انصرف ملتن كما رأينا عن الشعر وانشغل عن أمنيتــه الكبرى حتى كانت سنة ١٦٥٨ فتوفر على موضوعه ، فلما أتمه كان ملحمة تضاف إلى الملاحم الكبرى فى أدب العالم وسميت الفردوس المفقود .

ونظمت الملحمة فى ستة أقسام أو ستة كتب ، ولقد أوجزنا موضوعها فى أول هذا الفصل فلنبسط هنا بعض البسط ، ولا نجد خيراً من أن نقص خلاصة هاتيك الكتب الستة التى تتألف منها القصة .

افتتح الشاعر الكتاب الأول بمناشدة إله الشعر أو الاهاته[1] الموز فيما هو بسبيله على عادة شعراء الملاحم عند بدء ملاحمهم ، ثم يعرض الموضوع كله فيذكر أول عصيان للانسان وما يترتب عليه من إخراجه من الجنة حيث كان موطنه ، ويشير إلى غواية الشيطان ، ويذكر عصيانه وتمرده على خالقه واستطاعة ضم أكثر من قبيل من الملائكة إليه ، حتى طرده الله من الجنة ومن اتبعــه وألقى بهم فى قرار من جهنم سحيق ؛ ثم يصف الشاعر كيف كان هذا الهبوط من الجنة حتى رينا الشيطان ومن معه فى قرار الجحيم ، فى ظلمات بعضها فوق بعض ؛ ويظل هؤلاء على وجوههم وعلى جنوبهم فى هذا الماء زمناً يتقلبون فى بحيرة هائلة تتلظى بالحمم واللهب وفى نفوسهم رهبة ودهشة مما أخذهم من صاعقة ، ثم يفيق الشيطان بعد لحظة من هذه

(١) Muse ، وكانت عند الاغريق تطلق على بنات زيوس التسع ملهمات الشعر والموسيقى ، وفى ملحمتى هوميروس كان يقصد بها إله الشعر الذى يوحى إلى الشعراء ما ليس لهم به علم ؛ أما اليهود والمسيحيون فأحلوا روح القدس محل ذلك ، ويجمع ملتن بين الاثنين فبعد أن خاطب الموز عاد يخاطب روح القدس :

الغاشية فينادى أقرب أتباعه منه منزلة وأولهم بعده مكانة وهو يصلى النار الحامية إلى جواره ويتحاورن فيما أصابهم من هذا الهبوط ؛ ويتكلم الشيطان الأكبر فى الأباء والعناد والأصرار قائلا إنه لخير له أن يحكم فى النار من أن يخدم ويطيع فى الجنة ؛ ثم يدعو الشيطان أتباعه ولم يزالو مكبين فى النار على وجوههم فينهضون فيسوى صفوفهم ويعدهم للقتال ويختار من بينهم قادتهم وكبراءهم ثم يناديهم فيعدهم ويمنيهم باسترجاع مكانهم فى الجنة وينبئهم بدنيا جديدة تخلق ونوع جديد من المخلوقات يدب فيها وكل أولئك يجىء وفق نبوءة أو نبأ ترامى اليه وهو فى الجنة ولكى يعلم مبلغ ما تحقق من هذه النبوءة وماذا يكون موقفهم من هذه الدنيا يشير إلى مجلس ينتظمهم جميعاً حيث ينظرون ماذا يفعلون ! ثم يشير الشاعر إلى مأوى الشياطين أو قصر الشيطان الأكبر وقد استوى قائما منبعثاً من أعماق الماء وهناك يجلس كبار شياطين الجحيم ليوافيهم أتباعهم ليتشاوروا فيما بينهم كما أراد كبير الشياطين أجمعين ؛ وتتزاحم الشياطين على قصر رئيسهم وقد مدوا فى اللهب أجنحتهم وملأوا الجحيم حفيفاً بهـذه الأجنحة الممتدة ، ثم يتساقطون جماعات جماعات حتى يضيق بهم القصر على سعته .

وفى الكتاب الثانى تبدأ المشاورة فيجلس الشيطان الأكبر على عرش هائل ويتحدث إلى أتباعه متسائلا هل هو خير لهم أن يشنوا معركة أخرى لاسترجاع الجنة التى أخرجوا منها ويدعو كل من يحسن الرأى أن يتكلم بما يرى .

ويتتابع عدد من الشياطين كل يدلى برأيه ويبسط حجته ، فكانوا فريقين ، فريق رأيه الحرب وآخر يخشى عاقبتها ولا ينصح بها ، والشيطان الأكبر يوازن بين حجج كل فريق ولكنه لا يقطع أمراً ، حتى ينبعث صوت بمقترح مؤداه أن يدعوا الحرب إلى أمر آخر هو النظر فى مبلغ صحة تلك النبوءة أو الرواية التى علمت فى الجنة عن خلق دنيا جديدة ، ونوع آخر من المخلوقات يساوى الملائكة منزلة أو هو لا يقل كثيراً عن مستواهم وهذا هو وقت خلقهم ، وتتجه أفئدة الجميع إلى هذا المقترح وسرعان ما يجتمعون عليه ، ولكنهم يحارون منذا يذهب فى تلك الرحلة العظيمة العسيرة فيستطلع لهم ما يريدون ؛ ولا تطول حيرتهم فهذا كبيرهم يعلن أنه يذهب وحده فيأتيهم بنبأ يقين ، ويمجده الشياطين شاكرين له هاتفين به ؛ وينتفض عن شياطينه المجلس فيذهب كل إلى حيث يقضى الوقت ريثما يعود كبيرهم من رحلته

ويطير الشيطان الأكبر فيقطع فى رحلته أرجاء الجحيم حتى يأتى أبوابها فإذا هى مغلقة وعلى كل باب ثلاث طبقات من الحديد وثلاث من النحاس وثلاث من الحجر الصلد ، وتحرس هـذه الأبواب أنماط من الحرس هى فى أشكالها أليق ما تكون بحراسة أبواب الجحيم ، لا هى من الجن ولا من الوحش ولا من الأفاعى وإنما هى مزيج من هذا كله ركب بعضه فى بعض ، وهى أشباح للخوف والوباء والموت ، ويزجر الخوف الشيطان ويأمره أن يعود إلى مكانه فى النار ، ولكنه لن يزال يطلب أن يفتح له باب حتى يفتح له الموت باباً فيلج منه إلى خارج الجحيم فى عسر شديد ، ويرى مدى ما بين الجنة وجهنم من أمد ، وما زال الشيطان يسبح بأجنحته فى الماء فى عناء وعسر حتى يصبح بمرأى من الدنيا الجديدة فتقع عليها عيناه .

(يتبع)

الخفيف

الأمير عبد القادر وتحرير الجزائر

لمناسبة مضي ٦٥ سنة على وفاته

(مهداة إلى الأمير سعيد الجزائري)

للأستاذ محمد عبد الوهاب فايد

المدره الأفيق(١) كبير زعماء الجزائر ، وموحد اتجاهها السياسي ، ومؤلف شتاتها ، الأمير العظيم ، العالم الشاعر الباسل عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني .

ولد بوهران سنة ١٢٢٣ هـ في مهد العلم والتقوى ، وتلقى علوم الشريعة والأدب والتاريخ والحكمة العقلية وغيرها ، حتى حذقها ، وتوفر على المثاقفة بالسلاح وركوب الخيل ، فجمع بين السيف والقلم ؛ واشتهر بالذكاء والفصاحة والطلاقة وسمو الفكر وقوة البدن وشدة البأس والإقدام وصلابة الرأي فيما يزمع والإخلاص وقوة الإيمان .

فعلقت به القلوب واتجهت إليه الأنظار ، كل ذلك مع ما كان لأبيه وأجداده من المكانة الرفيعة في البلاد .

رحل إلى المشرق حوالي سنة ١٢٤١ مع والده وجماعة من أهله وحاشيته بقصد الحج ، فمروا بمصر فأنزلهم محمد علي باشا منزلا كريماً ، ثم حجوا وزاروا المدينة المنورة والعراق وبغداد ، فازداد عبد القادر بهذه الرحلة التي استغرقت أكثر من سنتين رسوخاً في العلم وخبرة بالسياسة .

وفي أواخر عام ١٨٣٠ م احتلت فرنسة عاصمة الجزائر ، وأخذت تفكر في الاستيلاء على سائر القطر الجزائري ، فبدأت الحرب بين أهل الجزائر والفرنسيين ، واقتحم أهل وهران الحرب بقيادة السيد محي الدين ، فبدا في هذا القتال من بسالة عبد القادر ومواهبه الحربية وأصالة رأيه وثورة نفسه الإسلامية الحرة وإخلاصه لقضية أمته وبلاده وقوة إيمانه بصدق جهاده ما عقد به أماني الناس .

ولما أراد أهالي تلك البلاد مبايعة السيد محي الدين أميراً عليهم اعتذر بعلو سنه ، فبايعوا ولده عبد القادر عام ١٨٣٢ م فاتخذ مدينة المعسكر عاصمة ، ولم شعث القبائل ، وجمع الأمة كلها على معنى واحد لا يتغير ، ودفعها بروح دينية واحدة لا تختلف ، وجعل عرق الجهاد يفور كما يفور العرق المجروح بالدم ، وبعث صولة الحياة في الشعب كله ، ورتب جنده وكان يتقدم جيشه ببسالة عجيبة ، وكأن بينه وبين أرواح جنده نسباً شابكاً ، فله معنى أبوة الأب في أبنائه لا يراه من يراه منهم إلا أحس أنه شخصه الأكبر ، فكانت فيه التكملة الإنسانية لجنده ، وكأنه خلق خاصة لإثبات أن غير المستطاع مستطاع ، وأن القوى الشديدة تعمل كالعدوى فيمن اتصل بها أو صاحبها ، فالأمير قد عدى جنده بقوة شجاعته العجيبة .

ومن نظمه :

تسائلني أم البنين وإنها ... لأعلم من تحت السماء بأحوالي
ألا فاسألي جنس الفرنسيس تعلمي ... بأن مناياهم بسيفي وعسالي
ومن عادة السادات بالجيش تحتمي ... وبي يحتمي جيشي وتمنع أبطالي

واستمر في الحرب حتى دانت له كل عمالة وهران تقريباً بعد محاصرته للجنرال بويه وجيشه . ثم تولى قيادة الجيش الفرنسي الجنرال دميشيل ، فكانت بينه وبين الأمير معارك انتهت بعقد المعاهدة المشهورة (بمعاهدة دميشيل عام ١٨٣٤) التي اعترفت بها فرنسة للأمير بجميع العمالة الوهرانية عدا مدينة وهران وآرزاو ومستغانم ، وكان له الحق بموجب هذه المعاهدة أن يعين قناصل في وهران والجزائر ومستغانم وغيرها ، وأن يستورد الأسلحة من أي جهة شاء ؛ فعظم شأن الأمير وامتد سلطانه وصار الأمير الشرعي لجميع أهالي الجهات الغربية من المغرب الأوسط . ثم مد رواق ملكه على البلاد التي لم تكن داخلة في حدوده مثل ميدية ومليانة ، وأقام فيها معامل للأسلحة ، مع احتجاج حاكم الجزائر العام .

(١) المدره كمنبر : السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال ، والأفيق البالغ النهاية في الكرم أو في العلم أو في الفصاحة وجميع الفضائل .

وفي غضون ذلك ثار على الأمير قبيلتا الدوائر والزمالة وانضمتا إلى فرنسة ، فطلب الأمير تسليم رؤسائهم إليه فأبى الجنرال ترزيل ، فبرز عبد القادر إلى القتال فانتصر على الفرنسيين في (يوم المقطع) في ٢٦ يولية ١٨٣٥ فأرسلت فرنسة جيشاً كثيفاً بقيادة المارشال كلوزل فاستولى على عاصمته (المعسكر) وناوشه من ورائه بقية من الأتراك كانوا في قلعة تلمسان ، وبعثت فرنسة الجنرال بوجو لإغاثة الجنرال دارلنج الذي حصره الأمير ، فانهزم عبد القادر ولكنه بقي ثابت العزم ، واستطاع بدهائه السياسي عقد صلح مع الفرنسيين على شروط ضمنت له أكثر مما ضمنته معاهدة دميشيل ، وذلك في (معاهدة التفنة) في ٣٠ مارس ١٨٣٧ التي اعترفت فرنسة له فيها بجميع عمالة وهران وقسم كبير من عمالة الجزائر .

وشرع بعد ذلك يقوي سلطته على البلاد التي أدخلت حديثاً تحت حكمه ، وأخضع عرب الأزارقة ، وأنشأ معامل للأسلحة والعدد الحربية وملابس الجند في تلمسان ولاغوات وميجانة وزيبان ، وبنى حصوناً لخزائن بيت المال ، وأقام على كل حصن بلدة ، منها تاقدت وتازة وسعيدة وبوغار وعريب وسبدو وغيرها

ثم رتب جيشاً منظماً على نمط جيوش الدول ، وقسمه إلى فرسان ومشاة سماهم العسكر المحمدي ، ومدفعية وسماهم الرماة ، واختار لتدريبه ضباطاً من الجيش التونسي ومن الجند التركي الذي بطرابلس ومن الفارين من الجيش الفرنسي ، ووضع لهذا الجيش قانوناً لمأكله وملبسه ورواتبه ومدة التعليم وشروط الترقي فيه ومنح الأوسمة ، ونظام الرابطة والحرب ، وضرب نقوداً سماها المحمدية ، وعنى بشؤون الزراعة والتجارة والتعليم ، وأقام دهاليز لادخار الحبوب وأنابير للاقوات ورمم القلاع ، ولم يهمل شيئاً مما يجب لتأسيس الحكومات الشرعية . ولم تكن همته زمن السلم أضعف منها إبان الحرب .

ولما كانت معاهدات الدول الاستعمارية مع الأقطار التي تود الاستيلاء عليها هي في الغالب منازل استجمام بين مراحل الحرب فقد تعللت فرنسة في تفسير بعض فقرات (معاهدة التفنة) وأرادت التخلص منها بعد أن أعدت العدد وعززت الجيش ، مع أن الأمير كان يعمل بها ، فاستؤنف القتال بينهما فزحف الماريشال فالي والدوق دومال ، فنادى الأمير بالجهاد في ٢٠ نوفمبر ١٨٣٩ فاستمرت الحرب من هذا التاريخ إلى عام ١٨٤٣ بلا انقطاع

وقام فيها الأمير بمقامه المحمود الذي طار ذكره في الآفاق ، وأثبت فيه عبد القادر للدنيا كلها أن الجزائر الجبارة متى شاءت بنت الرجال من أمثاله في العظمة والشهرة والمنزلة والقوة .

وعدم تكافؤ القوتين المتقابلتين سبب سقوط أكثر حصون الأمير واحتلال العدو أكثر معاقله ومدنه مثل تاغدت والمعسكر وتازة ووادي الشليف ، فتحول إلى الغرب ، فزحف العدو إلى تلمسان ونواحي ندرومة واحتلها ، فقصد الأمير إلى الجنوب فباغته الدوق دومال وغنم كثيراً من عتاده ، ففت هذا الحادث في عضده وخذله أكثر أعوانه ففر إلى المغرب ، وسعى لحمل سلطان المغرب الأقصى على شد أزره فأمده بجيش فكانت بينه وبين الجيش الفرنسي (واقعة إيسلي) في ١٢ أغسطس ١٨٤٤ .

ولما كان المغاربة يعوزهم من أدوات القتال ما يملكه الفرنسيون انتصر الجنرال بوجو على الجيش المغربي ، وكانت بوارج فرنسة ضربت طنجة ومغادور ، فاضطر سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام إلى عقد الصلح بالشروط التي تريدها فرنسة وأولها منع الأمير عبد القادر من تجاوز حدود الجزائر ، فلبث زهاء سنتين متربصاً فرة من العدو ينتهزها ، فلما بدت له في ثورة عام ١٨٤٦ انقض على بلاد الجزائر ثانية وأمعن في الغارة حتى بلغ بلاد البربر ، واستأنف الأمر كما بدأ ، إلا أن قوته كانت قد تناقصت ، وقدم الفرنسيين قد رسخت في الجزائر فلم تستمر غارته ، وأحاطت به الجيوش من كل ناحية ، فرجع إلى الحدود المراكشية ، فطلبت فرنسة من سلطان المغرب تسليمه وما زالت تلح في ذلك حتى ناصرهم وساق عليه قوة عظيمة دهمته فإذا هو بين نارين ، فاشتد به الغضب ، فاشترط شروطاً للاستسلام رضي بها الفرنسيون ، وسلم نفسه على يد الجنرال لاموريسيال في ديسمبر ١٨٤٧ واتفقوا على أن يسافر بأسرته من الجزائر إلى الأسكندرية أو عكا ، ولكن فرنسة أخذته إلى طولون ثم إلى إنبواز وأنزلته في قصرها معتقلا إلى عام ١٨٥٢ إذ بشره لويس نابليون بنفسه بإخلاء سبيله في يوم اهتزت له باريس احتفالا بمقدم الأمير .

أجل لم ينتصر البطل بعد جهاد ١٥ سنة جهاداً عزيز المثال في تاريخ الأبطال ، ولكن الأمم احتفت به لأنه يمثل كمالا من نوع آخر هو سر الانتصار .

ثم سافر الأمير إلى الآستانة وزار السلطان عبد المجيد ، ثم

أقام ببرصا ، وفى سنة ١٨٥٥ هاجر إلى دمشق ، ومر ببيروت فقام واليها وامق باشا بالحفاوة به . ثم بجبل لبنان فاحتفل به مشايخ الجبل وأمراؤه . فلما أشرف على دمشق خفت المدينة إلى استقبال مدره الإسلام ، وتقدم الجمع محمود نديم باشا والى دمشق ، وعزت باشا رئيس العسكرية ، والعلماء والأعيان ، ثم دخلوا المدينة تتقدمهم الجنود بموسيقاها ، ونزل ضيفاً بدار عزت باشا ، إلى أن اختاروا له دار القباقيبى التى كانت مقر الحكومة فحط رحله فيها .

وقضى بقية حياته بدمشق فى مثافنة العلماء ، والتحقيق العلمى ولا سيما التصوف . ومن أمتع آثاره العلمية المطبوعة (كتاب المواقف) الذى يدل على رسوخه فى التصوف علماً وعملا ، و(ذكرى العاقل) فى الحكمة والشريعة و(ديوان شعره)

وقد صرح مؤرخو الفرنج أن مملكته العلمية والدينية كانتا من أكبر أعوانه على تأسيس الحكومة التى أسسها ، وأنه كان ينال باللسان ما قد يعجز عنه بالسنان .

وقال الماريشال سوليت الفرنسى فى سنة ١٨٤٠ (لا يوجد الآن أحد فى العالم يستحق أن يلقب بالأكبر إلا ثلاثة رجال كلهم مسلمون وهم : الأمير عبد القادر ، ومحمد على باشا ، والشيخ شامل) .

ولما وقعت بدمشق حادثة سنة ١٨٦٠ عنى الأمير عبد القادر بحماية المسيحيين وإنقاذهم ورد العوادى عنهم ، فأخلى لهم دوره والدور المجاورة لها حتى هدأت الفتنة ، فأجمعت صحف العالم على حمده وشكره ، واستحق بهذا الصنيع ثناء الجميع ، فأرسل إليه الخليفة السلطان عبد المجيد وفرنسة وأمريكا وأكثر الدول الأوربية أوسمة رفيعة مع رسائل الشكر والحمد .

وفى عام ١٨٦٣ حج ثانية . ودعاه الخديو اسماعيل باشا فيمن دعا من أعيان العالم وملوكه وأمرائه لحضور الاحتفال بفتح قنال السويس .

وما زال مثالا للبر والإحسان والتقوى والأخلاق الكريمة يتهجد الليل ويمارس فى رمضان رياضة الخلوة على طريقة الصوفية ، إلى أن قبض رضى الله عنه سنة ١٣٠٠ هـ ودفن إلى جانب ضريح الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى بصالحية دمشق . وذاع نعيه فى الآفاق وأسف عليه الملوك والأمراء ومن عرفه من الخاصة والعامة ، ورثاه الكتاب والشعراء ، وأبنه العلماء والأدباء .

هذا موجز من سيرة الأمير الكبير ، وتاريخ حياته وأخبار نضاله مع الفرنسيين مبسوطة فى كثير من كتب المسلمين والفرنج . وللعالم الجليل السيد أحمد أخى الأمير تاريخ مفصل لحياة أخيه لم يطبع بعد ، فيه حقائق لا توجد فى «تحفة الزائر»

وأذكر بهذه المناسبة أن الشيخ شهاب الدين محموداً قال : عدت قاضى القضاة ابن خلكان فأنشدنى لبعض أهل الأدب شعراً فى نقيب الأشراف بالمدائن خلب عقلى ، وهو هذا :

قد قلت للرجل المولى غسله ... هلا أطاع وكنت فى نصحائه
جنبه ماءك ثم غسله بما ... أذرت عيون المجد عند بكائه
وأزل أوانى للحنوط ونحها ... عنه وحنطه بطيب ستائه
ومر الملائكة الكرام بنقله ... شرفاً ألست تراهم بأزائه
لا توه أعناق الرجال بحمله ... يكفى الذى حملوه من نعمائه

قال الشيخ شهاب الدين فوقع فى نفسى أنه أحق الناس بهذا الرثاء وأنه نعى نفسه فمات فى ذلك الأسبوع ، وقال الصوفى الذائق السيد محيى الدين بن أخى الأمير عبد القادر : وأحق الناس بهذا الرثاء أستاذى العارف الربانى أمير العلماء وعالم الأمراء ، سيدى الأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى .

محمد عبد الوهاب فايد

أفلاطون الشاعر

ونظريته فى التقمص

للأستاذ جبريل خزام

نظم أفلاطون الشعر قبل أن يعرف الفلسفة وقبل ان يتصل بسقراط ، وله مسرحيات شعرية ولكنها ضاعت كلها ولم يصل إلينا شيء منها ... وليست تهمنا هنا هذه المسرحيات فى شيء ، ولكن الذى يجدر بنا أن نعرفه أنه كان شاعراً قبل أن يكون فيلسوفا ... ثم تعلم الفلسفة على يدى أقرا طيلوس العالم الطبيعى القديم الذى كان يعتقد بالتغير المستمر للأشياء ، ثم عرف سقراط وأعجب به ، ولم يلبث أن صار من تلاميذه المقربين .

وهجر أفلاطون الشعر لسببين : أولهما تحوله تحولا كليا إلى الفلسفة التى بهره بها أستاذه الكبير سقراط . وثانيهما أن سقراط كان لا يرضى عن الشعراء لاعتقاده أنهم يزيفون الحقيقة ويقلبون الحق باطلا والباطل حقاً . ولكن الذى لا ريب فيه أن أفلاطون وإن كان قد هجر الشعر إلى غير رجعة ، إلا أن تأثره الشعرى القديم كان عاملا كبيرا من العوامل التى أثرت فى فلسفته تأثيراً ملحوظاً ، فجاءت ممزوجة ببعض الخيال ، ويتجلى ذلك فى (فيدون) عند استعماله ألفاظاً شعرية فى حديثه من أمثال : يلوح لى أو يبدو لى أو إن ما أراه ... تلك التى دعت الكثيرين إلى الشك فى نظرية الخلود التى احتوتها هذه المحاورة المعروفة ، حتى قيل إن هذه النظرية محض اختلاق ، وإنها خيال شاعر أكثر منها فلسفة حكيم .

وأفلاطون يؤمن بأن التأثير الشعرى فى النفس سابق للتأثير العقلى . فنحن حين ننظر فى الوجود وفى الأشياء المحيط بنا أو عندما نسمع رأيا من الآراء لا نعتبر فى حالة قبول تام مباشر لأننا لسنا كالإناء يصب منه الماء ، ولكن لنا إحساساتنا وعواطفنا التى نسبر بها غور الأشياء أولا قبل أن يستقبلها العقل ؛ فالعين تنفعل إذا وقعت عليها الأضواء والألوان ، وهى تضطرب بمشاعرها وإحساساتها . ثم يتدرج ذلك إلى الشعور العقلى والإحساس الذهنى ، فتدرك العين ماهية هذا الشيء الذى يسقط عليها ، ويستطيع جفناها أن ينفرجا تدريجياً .

ومنهجه فى الجدل دليل آخر على تفكيره الفلسفى الذى يخالطه الخيال الشعرى المتغلغل فى نفسه منذ صباه . ومنهجه هذا يتمثل فى دورين : جدل صاعد وفيه يصعد أفلاطون من المحسوسات إلى المعقولات ، كأن يفكر مثلا فى وجود الأشياء الطبيعية حتى ينتهى إلى الله الذى هو كائن معقول غير محسوس ، ثم جدل نازل وفيه يهبط الدرجات من عالم المعقولات إلى عالم المحسوسات ليرى هل هى بعينها تلك التى صادفها فى صعوده . فأفلاطون يصعد أولا إلى المعقولات غير المستجدة ، وينحدر من عالم المحسوس ليصل إلى نقطة نهائية وهى إثبات وجود الخالق ، ثم هو يبدأ فى النزول من حالق مضطراً له اضطراراً ، مكرهاً عليه إكراها لكى يتأكد من صحة الخطوات التى صعدها ، ليعلم بصواب ما ذهب إليه فى تفكيره .

وهذا المنهج الجدلى يختلف تمام الاختلاف عن منهج سقراط ، فسقراط يطلب من محدثه أن يحدد له الألفاظ التى يستخدمها فى حديثه وله فى طريقته خطوتان هما : التهكم والتوليد ، فى الأولى يوجه إلى محدثه أسئلة يطالبه بالإجابة عنها حتى إذا اعترف المحدث بعجزه عن الإجابة عنها وقصوره عن إدراك الحقيقة كاملة خطا سقراط خطوته الثانية فيشرح له — عن طريق الأسئلة التوضيحية — رأيه الخاص فى الموضوع الفلسفى الذى كان موضوع المناقشة .

وهذه الطريقة العملية البحتة فى الجدل ، تختلف تماما عن طريقة أفلاطون الصاعدة والنازلة والتى ينزع فيها إلى المعقول ثم إلى المحسوس . زد على ذلك أن سقراط كان جدله بينه وبين الناس ... أما أفلاطون فكان جدله يجرى بينه وبين نفسه ، وهذا ما أسماه بمناقشة النفس نفسها أى التفكير المنفرد الذى هو أشبه بالمناجاة الشعرية الفلسفية منه بالتفكير الفلسفى المحض .

وقد قسم أفلاطون العلوم إلى : حساب وهندسة وموسيقى ؛ وقد رتبها هذا الترتيب لأن كل علم لا حق يعتمد على العلوم السابقة له ، ثم يزيد عليها . فالهندسة تعتمد على الحساب وكذلك الفلك ، كما أن الموسيقى تعتمد عليها جميعاً .

وقد ذهب إلى أن هذه العلوم تظهرنا على أن فينا قوة تترفع عن الإحساس المادى وهى العقل . وأفلاطون فى جميع فلسفته يحاول أن يسمو على الإحساس المقيد إلى التفكير العقلى المطلق ؛ ثم هو لا يقف عند هذه الدرجة ، بل يقول بأن العقل فى جميع مراحله السابقة لا يقنع ، ذلك أن العلوم فى هذه المرحلة القاصرة

تستخدم مبادئ أعلى منها ولا تبرهن على وجودها ، مثال قولنا إن هذا الشيء أصغر من ذاك أو أكبر منه أو مساو له . ويخرج أفلاطون بهذا إلى العلوم والمعارف الإنسانية ، فالعدالة والظلم والقبح والجمال والصغر والكبر والمساواة معان كلية عامة لا نستطيع أن نقول إنها موضوع علم بعينه كالحساب أو الهندسة ولكنها دائرة أوسع وأكثر شمولا للمعرفة العقلية من هذه العلوم . ويخرج أفلاطون من ذلك كله إلى أن الإحساس وحده لا يكفي لإقامة العلم ، ويستدل عليه بأن الحيوان يعتمد على إحساسه المادي ولكنه لا يصل إلى مرتبة المعرفة العلمية .

ويتساءل أفلاطون عن كيفية حصولنا على هذه المعاني الكلية فيقول : إنا لم نحصل عليها عن طريق التجربة ، لأن هذه المعاني هي نفسها التي ساعدتنا على فهم التجربة ، فلا يبقى لنا إلا أن نقول إنها في النفس منذ الميلاد ، وما الميلاد عند هذا الفيلسوف الشاعر ؟ إنه نزول النفس إلى الجسم بعد أن كانت في عالم الأرواح ، أو نزولها من العالم المعقول إلى العالم المحسوس . وهذا ألهمه إياه خياله الشعري القديم . فهو يعتقد أن النفوس الإنسانية وجدت أول الأمر أرواحا هائمة في عالم الأرواح غير متصلة بمادة ما ، وأدركت في ذلك العالم الأمور الروحية ومنها المعاني التي ذكرناها والتي أطلق عليها اسم المُثُل . فلما هبطت هذه النفوس إلى الأجسام المادية وسكنتها اعتراها نسيان لاتصالها بهذه المادة الكثيفة ، فبقيت كأنها لا تعرف شيئا حتى تنبهت بإدراك الحواس . وكلما أدركت شيئا ما من حياتها الأرضية كان هذا تذكرا لما حدث مثاله في حياتها الروحية السابقة ، وهذا هو أصل العلم عند أفلاطون . والنفس الإنسانية في رأيه قد تعود إلى هذا العالم أكثر من مرة ما دامت لم تتطهر من التعلق بالأشياء المادية المحسوسة ، وفي رجوعها قد تتقمص جسما حيوانيا كما قد تتقمص جسما بشريا . وهذا ما يعرف بالتقمص أو التناسخ

والواقع أن أفلاطون قد مزج فلسفته بالخيال فجاءت مزاجا عجيبا مُعجبا في آن واحد ... عجيبا لأن الشعر والفلسفة متناقضان على خط واحد ، فهذا ينشد الخيال في السماء ، وتلك غالبا ما تبحث عن الحقيقة في الأرض ؛ ومعجبا كذلك لأن فلسفته هذه الممزوجة بالخيال جعلت أسلوبه الجدلي أقرب إلى الفلسفة الأدبية الشائقة منه إلى الفلسفة العلمية الجافة .

جبريل فزام

غرام الكهولة ...

للأستاذ عثمان حلمي

قلت للنفس حين لجَّ هواكِ   أنتِ إياكِ والهوى إياكِ
جدَّ بي العمرُ فاهدأى واطمئنى   وكفانى مما مضى وكفاكِ
واجعلى ما أصبتُ فى التقىِّ يا نفــــس ختاماً فإنَّ فيه هُداكِ
وقفةٌ تلك بين عقلى وقلبى   يا لنفسى ما بين هذا العراكِ
ثم يا لى أرجو السلامةَ فى عمـــرىَ هذا من قائدى للهلاكِ
عاصف من هواكِ يعصفُ بالقلـــب وعاتٍ يسوقنى فى هواكِ
وعنيد لا أستطيع خلاصاً   منه مما يحوك لى من شباكِ
يا لقلبٍ خلا من الحب دهراً   ثم صادفتِ خالياً فاصطفاكِ
فأطاع الهوى فلا هو يسلو   كِ على ضعفه ولا ينساكِ
وأطعتُ الغرام فيك برغمى   ولو أنى فى الحق لستُ فتاكِ
لا أذود الغرامَ بالعزم إلا   خاننى العزمُ فيك حين لقاكِ
فتبســمتُ بالرضى وتبسمــت وشمْتُ لىَ بالرضى مقلتاكِ
غمرَ العطفُ منك من كان يخشا
كِ وشجعتِه فما يخشاكِ
فاستمرتُ الشبابَ من بعد أن ولـــى شبابى لرغبتى فى رضاكِ
وتجملتُ فى خريف حياتى   ومشى بى الهوى على الأشواكِ
وكأنى أصبحتُ غيرىَ فى الدنــيا وأضحيتُ غير هذا الشاكى
كيف أشكو النوى وأنتِ أمامى   لم يعكر صفاء عيشى نواكِ
ولقد أتقى لأجلك فى القر   ب فضولَ العيون فيما عساكِ
فأدارى العيونَ حتى كأنَّ الـــقلبَ خالٍ أو أنه ما حواكِ
وإذا ما التقتْ بعينك عينى   خالَ من خالَ أننى لا أراكِ
وأنادى على سواكِ فما أنـــطقُ إمَّا ناديتُ باسم سواكِ
فكأنى عقدتُ باسمك يا « زيـــن » لسانى فما له من فكاكِ
أنتِ فى مقلتىَّ أنَّى توجهـــتُ أمامى وأين كنتِ أراكِ
صورةٌ منك لا تفارقُ عينى   كل حسنٍ لها إذا غبتِ حاكِ
لستُ أدرى ما ذا يخبىء لى الغيـــبُ وما ذا يطوى لمثلى هواكِ
فلقد حرتُ بعد عمرىَ هذا   كيف لا أستطيعُ أنْ أنساكِ

من « لزوميات مخيمر » (*)

للأستاذ أحمد مخيمر

[إلى أصدقائى الشعراء : عبد الرحمن الخميسى ، وعبد العليم عيسى ، والعلائى . .

غنـــوة ...

سألتكِ هل تدرين أنكِ غنوةٌ   تغنَّت بها الآزالُ، فالتفت الدهر
وعشتِ زماناً فى ذُراها صغيرةً
ومهدكِ ينمو حوله العشب والزهرُ
وقد كان مثواكِ المغاورُ والربا   وملعبكِ الغاب المظلل ، والنهرُ
فلم تعلمى إذ ذاكِ أنك رغبةٌ   وأشواق روح فى جوانحها بهرُ
وأنَّ الليالى أسرعت بكِ دونها   فكم صرعت شهراً ليتبعه شهرُ
فمن أجلكِ انسابت على الأفق شمسها
ورفَّتْ على الظلماء أنجمها الزهرُ ..

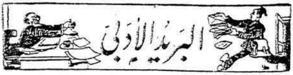
منـــارة الحب ...

خبَّ بنا يا ليلَ ركبُ الهوى   فى جسدٍ من شوقه ناحلِ
لغـــايةٍ لم يدر ما سرها   من لم يكنْ يا ليلَ بالراحل
منارةٌ أنتِ لســمّ الهوى   أقامها الشوق على الساحل
كأنما فى خلدى نورهـــا   غمامــةٌ فى بلدٍ قاحل ...

لقـــيا ...

سرورى بلقياكَ سلوانيــهْ   فلا تبعدى الخطو يا غانيهْ
لئن صح ما زعم الزاعمون   فويلٌ لأيامنا العانيـــه
ويا أسفا إن طوتكِ المنونْ   فرحتِ ، ويا طول أحزانيه
سيخرس بعدكِ هذا اللسان ،   وتُطْبَقُ بعدكِ أجفانيه
فما أبتغى نعمةً لا تدوم ،   وما أشتهى لذةً فانيــه
وكيف ؟ وهذا المحيا الجميل   وقد رفَّ مبعث إيمانيـه
أرى فى سناه الوجود الرحيب   وأكشف أعماق وجدانيه

(*) عنوان ديوان يصدر قريبا



على هامش النقد :

كتب الأستاذ على العمارى فى عدد الرسالة الماضى يسألنى رأيى فى الآيات :

« انطلقوا إلى ما كنتم به تكذّبون . انطلقوا إلى ظلٍّ ذى ثلاثِ شُعبٍ ، لا ظليلٍ ولا يُغنى من اللهب . إنها ترمى بشررٍ كالقصر ، كأنه جِمالةٌ صُفر » .

فهو يرى أن حكمى على بيتى شوقى عن قصر أنس الوجود :

قف بتلك القصور فى اليم غرقى   ممسكا بعضها من الذعر بعضا
كعذارى أخفين فى الماء بضا   سابحات به وأبدين بضـــا

بأنهما يكشفان عن تزوير فى الشعور ، لأنهما يبعثان شعورين متناقضين فى النفس ، ويدلان على أن الشاعر لم يحس بالموقف الذى يصوره إحساساً صادقاً ... الخ

يرى أن حكمى هذا يصطدم بهذه الآيات القرآنية .

ويقول فى تعليل هذا :

« فالجو العام للآيات هو تهديد وإنذار وتخويف ، يقذف باللهب ، ويرمى بالشرر ؛ ولكن التشبيه لا يبعث فى النفس إلا الطمأنينة والهدوء والظل الأبيض الناصع . ثم إن منظر الجمال الصفر متتابعة مختلطة متحركة فى تموج واضطراب هو هو منظر الشرر ، ولكن هذا المنظر لا يبعث فى النفس ، ولاسيما نفس العربى إلا المسرة والبهجة والشعر والجمال ، فالجمل أليف إلى نفسه حبيب إليها ، وهو حين يكون أصفر يزيد فى إعجابه وبهجته. الخ»

وهذا المشهد من مشاهد القيامة قد تحدثت عنه بتوسع فى كتاب « مشاهد القيامة فى القرآن » ، وهو فى المطبعة الآن . فأكتفى هنا بكلمة قصيرة إلى أن يظهر الكتاب !

ولست أرى وجهاً هنا للبس ولا للموازنة بين البيتين والآيات ؛ فإن مشهداً يصور جهنم ، وقد انبعث منها الدخان الكثيف المتشعب كأنه الظل ، ولكن « لا ظليل ولا يغنى من اللهب » ! وهى لضخامتها وهولها ترمى بالشرر كل واحدة منها فى حجم القصرة — أى الشجرة الغليظة — أو فى حجم الجمل ... وهى تقذف بها فى عنف وشدة « ترمى بشرر كالقصر » لا متتابعة فى هينة وهدوء كما يريد الأستاذ أن يصور المشهد

وإن مشهداً مفزّعاً كهذا المشهد ، لا يدع للحس فرصة ولا فسحة ، يتملى فيها على هينة واتئاد ، وراحة بال واطمئنان خاطر ... منظر الجمال المتتابعة فى رتابة وجمال ، ومتتابعة مختلطة متحركة فى تموج واضطراب » فكل هذا لا أثر له هنا .

وقد استقلت لفظتا « القصر » — جمع قصرة — و « جمالة » جمع جمل — استقلتا بتصوير الضخامة — وهى المقصودة أولا فى المشهد — واستقلت كلمة « ترمى » بتصوير العنف — وهى المقصود ثانياً فى المشهد — ثم جاءت كلمة « صفر » لتعطى لهذا المشهد مجرد اللون ، ولتتم الصورة بحجمها وحركتها ولونها على طريقة التصوير فى القرآن .

ولو أراد مجرد الضخامة واللون دون العنف لقال مثلا : ترسل بشرر ولم يقل « ترمى بشرر » ، فكلمة « ترمى » تجىء هنا لتكمل خاصة معينة للصورة

وأوقن أن رحاب السماء   إذا ما دنا أصبحت دانيه
ويبعث بى فرحـــة بالبقاء   تبدد شكبى وأشجانيه
فيا قبسَ الخلد لا تبعـدى   فأنتِ على الأرض سلوانيه
ظمئتُ لينبوع تلك الشفاه   فهاتى لى القبـــلة الثانية
كأنى بها قطرة من ندى   ترفّ على وردة قانيـــه
إذا نلتهـا خلتُ أنى إله   أصرّف بالعزم أكوانيـــه
ويا ملكا غادياً بالحنان   تمرّد فى نالصدر شيطانيه
أنازعه جاهداً أن يقرّ   ويستمرئ الدهر عصيانيـه
تعالىْ إلى روضتى فى الخيال   فأسقيك من ماء غدرانيه
وأطعمكِ الثمـــر المشتهى   تدلّى بأطراف أغصانيـه
نما ، وحلا ، وغدا فى الغصو   ن يرتقب الأيدى الجانيـه
تخالينه فى حوافى الظلال   كواكب مشرقةً دانيـه
ويا فرحاً فى ضمير الزمان   بدا بعــد لأى فأغرانيه
وكنتُ ذكرتُ شقاء الوجود   فلما بدا لىَ أنسانيـــه
وزين لى كل شىء أراه ،   وجمّل بالنــــور أزمانيه
وأفعم بالحب رحب الفضاء   فقد خلته مهجة حانيـــه
لأمرٍ أرتِ ظلام الحياة   فأبصرت الأعين الرانيه
وجلّيت لى خطرات الوجود   وما كنّ قبلكِ من شانيه

واللون الأصفر في مثل هذا المجال لايشيع في المشهد ما أراد الأستاذ أن يشيع من الوضاءة والهدوء والصفاء !

وأنا أعيذ الأستاذ أن يقف لحظة أمام هذا المشهد الوضيء !

ولو – لا قدر الله – شهده ، ووقف حياله وقفة المهدد به ، لما أغنى اللون الأصفر فتيلا في تخفيف هوله ، ولما وجد في خاطره فسحة لتملي وضاءته ! في ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، وهي ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالة صفر . إنها هنا صفرة النار التي ترمي بالشرر لا صفرة الظل الأبيض الناصع الذي يمتع النظر !

سيد قطب

تأبين المرحوم الأستاذ طه الراوي :

ستقوم دار المعلمين العالية ببغداد بالاتفاق مع وزارة المعارف العراقية ولجنة الترجمة والتأليف والنشر العراقية بحفلة تأبينية كبرى للمرحوم الأستاذ طه الراوي أستاذ الأدب العربي بدار المعلمين العالية ببغداد سابقاً ، وذلك في ذكرى وفاته السنوية في اليوم العشرين من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٦ . وقد تشكلت لجنة لتنظيم هذا الاحتفال برئاسة عميد دار المعلمين العالية وعضوية الأساتذة : محمد هاشم عطية ، والدكتور محمد مصطفى زيادة ، والدكتور عبد العزيز الدوري ، الأساتذة في المعهد . وقد رأت اللجنة الاتصال بكافة الهيئات والمؤسسات والشخصيات التي لها صلة وثيقة بالمرحوم لتساهم في الحفلة التأبينية : فنرجو ممن له هذه الصلة ورغب في المساهمة في الحفلة المنوه عنها أن يتفضل بإرسال كتبه إلى الملحق الثقافي بالمفوضية الملكية العراقية في القاهرة (٧ شارع محمد مظهر باشا بالزمالك) ليقوم بدوره بإرسالها إلى لجنة التأبين

إلى اليد ذات السوار رقم ٢ :

لم تأمرينني بالاعتذار ياسيدتي ؟ أبهذا الأسلوب – أسلوب الأمر – تسوق الأديبة طلبها ؟ مم أعتذر ؟ لم أجن ذنبا ولا جريرة أستحق عليهما اللوم والتثريب . إنني لم أسيء إلى قلم الأستاذ الطنطاوي في كثير ولا قليل . وأشهد الله علي ما في نفسي أني أحمل له كل توقير وتبجيل ، ولو كنت غصت إلى أغوار مقالتي لأدركت الرأي الذي أبديه ، والقصد الذي أبتغيه

وما كان لي أن أستتر تحت اسم مستعار من تلقاء نفسي . ولكن المقام اضطرني إلى هذا على غير رغبة مني . وإن كنت تخشين أن يحاسبك الناس في حاضرهم حسابا عسيرا على مستقبلك فإني والله لا أخشى إلا الذي برأني وسواني . وإن تلك النفخة التي تخافين منها على أدبك الناشيء ، فلله الحمد ليس لي حتى كتابة هذه السطور شيء أرتاح لمرآه إن طيره نفخ النافخين ، أو أتت عليه أقلام الكاتبين . وعلى كل حال إن المستقبل بيد الله

إن مقالتك لم تبعث في نفسي وحشة ولا بأسا ، وإنما زادتني أنسا بالأدب والأدباء . لو كان في مقالي شيء من التجريح لما احتاج الأمر إلى دفاعك ، ولهب الأستاذ من فوره يسوق إلى النقاش ، وهو الأديب الأريب الذي له – ولزملائه كتاب الرسالة – مكان الثريا في سماء الأدب .

وما دخل التشاؤم في موضوعنا ؟ إن من سعادة الحياة أن أنظر إليها من خلال منظار التفاؤل ، ومن حسن الطالع أن حباني ربي صديقات هن مبعث فرحتي ومصدر مسرتي .

دعي هذا يا سيدتي ، وتعالي لتشاهدي ضربا من الحياة جديدا . هل سمعت أو رأيت الأصم الأبكم كيف يتكلم ؟ إن تلاميذي وتلميذاتي من هذه الشرذمة البائسة التي قضي عليها بفقدان السمع والنطق . وها نحن أولاء أخواتك ذوات الأساور نخفف بلواهم ، ونسعى إلى تحقيق مناهم ، حتى تربطهم بالحياة وشائج يستطيعون معها مسايرة المجتمع .

لعلك اقتنعت بوجهة نظري بما سقته إليك في هذه العجالة ، والآن أختم حديثي بالاسم المستعار الذي استعرته لنفسك ، لأني في الواقع ممن لا يألفن التحلي بالسوار . وهأنذي أكشف لك عن حقيقتي كما أحب أن تكشفي لي عن حقيقتك ، وإلا ذهبت بي الظنون مذاهب شتى . وعسى أن يكون اصطفاق قلمينا فاتحة صداقة كنت أنت البادئة بها . ومما يشرفني ويعلي قدري أن نبرم سويا عهد هذه الصداقة تحت ظلال دوحة الرسالة الغراء التي لها الشكر أولا وآخرا ، إذ أفسحت وما تزال تفسح لنا في رحابها مكانا لنشر أحاديثنا ، والسلام ؟

ربيعة محمد سبح الله

مدرسة بمعهد الصم والبكم – بمطرية القاهرة .

حواء الخالدة :

قصة مسرحية ألفها الأستاذ محمود تيمور بك ، وأخرجها الأستاذ زكى طليمات ، ومثلتها الفرقة المصرية بدار الأوبرا الملكية

وبطلا القصة عنترة بن شداد العبسي وصاحبته عبلة ، وليست القصة كما روتها أو زعمتها كتب التاريخ والقصص القديمة محيطة بطليها بتهاويل البطولة والحب ، وإنما اتخذ المؤلف من زمانهما ومكانهما وأشخاصهما ، جوا جديداً ، ومادة جديدة ، لعمل فنى جديد ، قوامه التحليل وعرض العواطف والميول الإنسانية على طبيعتها .

فعبلة امرأة تزهى بحب الرجل إياها ، وتتخذه لعبتها ، فتشتط فى مطالبها ، ولا تبالى أن تدفعه إلى الأهوال ، وتحمله على ترك الديار وتجشم الأسفار ، لتحقيق رغباتها التى يمليها مجرد العبث والزهو .

وعنترة رجل شجاع محب ، ذو بأس وذو قلب ، يبطش بالفوارس ، وترتد عن صفحاته الأسنة ، ولكن تنفذ إليه سهام الأنوثة ويفعل به سحرها ، فينصاع لعبلته ، ويسعى فى إجابة مطالبها غير مكترث بما فى طريقها من المشاق والمصاعب ؛ وترمى به الحبيبة المدلة فى سفر بعيد يمتد به الزمن ، ثم يؤوب كمن صحا قلبه فسلا وأقصر باطله ، ولكن لا يلبث أن يتسلل نشيد الحب إلى مكمنه فى فؤاده ، فيعود به إلى مغانيه ، ويظل يروض تلك القطة المزهوة الشرسة حتى ينالها ...

وواضح من سياق القصة أن المؤلف أراد أن يصور المرأة فى إدلالها وزهوها وتمنعها وتحايلها وأفانينها فى اللعب بالرجل — تصويراً أريد أن أقول إنه (كاريكاتورى) مستعيرا له هذه التسمية من ذلك التصوير الذى يقوم على المبالغة فى إبراز الخصائص ، وعلى هذا يمكن أن تحمل تلك المواطن التى بدت فيها عبلة على خلاف ماتجرى به العادة فى واقع الحياة ، كدؤوبها على العبث واللهو بعد ماقيل من موت عنترة ، وكفتورها فى استقباله بعد غيبته الطويلة على رغم حبها له .

ولكن ما بال عنترة يستقبل منافسه فى خطبة عبلة بالترحيب والتكريم حيث كانت تقتضى طبيعة الموقف وطبيعة الفارس البدوى أن يلقاه بسيفه ؟ حدث ذلك عند ماجاء هذا المنافس بعد إحضاره النياق العصفورية التى طلبتها منه عبلة ، فوجد عندها عنترة ، وكان عنترة أيضا قد عاد من سفره الطويل الذى دفعته إليه لجلب حجر الزمرد الذى اشترطته ليتم زواجهما ؛ وتراه بعد أن يأتى لها به وبعد ما تجشم فى سبيله يستقبل خاطبها الآخر ويهنئهما ... وقد يقال إن أحداث السفر قد غيرته وجعلته يسلو ، ولكن ماذا يبرر ذلك الموقف الغريب حينما بُعث حبه ، وعاد فى هواه سيرته الأولى ، واستحر النقاش بينه وبين عبلة ، وفاجأهما منافسه ، وإذا عنترة الفارس الذى استعاد صبابته يسلم إلى هذا المنافس حبيبته التى أفلتت من بين ذارعيه ، ويخاطبه كالمعتذر ... ويغادرهما ذاهباً إلى شأنه . ؟

وهنا نقول إن المؤلف آثر المرأة بعنايته ، إذ كان يهدف إلى إبراز خصائصها بذلك التصوير (الكاريكاتورى) ولكنه أهمل الرجل فصوره ذلك التصوير العجيب ، ولم يدبر أمره على سنن الواقع ومقتضيات الطبيعة ، ولم يبد لنا من هذا الصنيع هدف يبرره

وقد كانت هذه الرواية على مسرح الأوبرا مجلى الإخراج الفنى البارع المتقن ، وعرس اللغة العربية فى جلوتها ورنين جرسها على ألسنة الممثلات اللائى أثبتن أنها لغة رقيقة ... رقيقة ...

وهى مدعاة إلى استخذاء مؤلفى التمثيليات باللغة العامية الذين صدعوا رءوسنا بهرائهم ، ووجموا قلوبنا بادعاءاتهم التى لا تدل إلا على العجز المبين

ومن العجيب أنهم يمثلون بالعربية الروايات المترجمة ، ويؤلفون بالعامية التمثيليات المصرية ، كأن العربية فى البيئة الغربية أبين منها فى البيئة المصرية ! وأعجب العجب تمثيل قصص باللغة العامية وقعت فى العصور العربية من جاهلية وأموية وعباسية ! وما تزال أغانيها العامية تتردد على الألسنة كسلامة القس مثلا ! فإلى متى يظل هذا التهريج الفنى ؟ ومتى يرتفع الفن بالأذواق الساذجة بدلا من تملقها والانحدار إليها ؟

وأخيراً ، نسوق الحديث إلى محطة الإذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية ، لعل عربية (حواء الخالدة) تقنعها باصطناع اللغة الفصيحة فى إذاعة التمثيليات القصيرة التى أكثرت أخيراً من إذاعتها بالعامية ، وأهملت الفصحى فى هذا المجال كل الإهمال فيما عدا المترجم الذى تقدم العجب من الاقتصار عليه فى التمثيل بالعربية .

عباس حسان خضر

الكتب

كتب قرأتها :

يقظة العـــرب

تأليف المرحوم جورج أنطونيوس

ترجمة الأستاذ على حيدر الركابي

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوى

يقول مؤلف هذا الكتاب المرحوم جورج أنطونيوس فى مقدمته إنه « لا يرمى إلى تدوين التاريخ النهائى لليقظة العربية ... بل إلى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة » هذه الحركة التى مهدت تربتها ، وبذرت بذورها ، ونبت نبتها ، ونضج حبها ، وتم حصدها فى خلال نصف قرن ، لا بأفاعيل طافرة ، أو وثبات غير متزنات ، بل بعزيمة جبارة ، ومثابرة عنيدة ، مستمدتين من إرادة أمة موحدة لها فى بطون التاريخ فصول كتبها أجداد عباقرة أسمعوا الدنيا نداءهم ، ولقنوا العالم تعاليمهم ، وما هؤلاء الأحفاد سوى جيل وبعض جيل من أبناء الشام أيقظتهم حركة الانقلاب العثمانى عام ١٩٠٨ فاستنهضتهم فنهضوا إلى العمل فعملوا دائبين ملبين غريزة الجد فى طبيعتهم ، وقد دفعوا كل ثمن وبذلوا كل ما يستطاع بذله ، وجادوا بأقصى غايات الجود ، ونالوا نصيب المجاهد المؤمن ، وفازوا بتحقيق أمانيهم واستقلال بلادهم وحريتها ولم يكن ما قربوه من أرواح وأموال فى سبيل الوطن بالثمن الفادح الباهظ

تكاد تكون سطور هذا الكتاب بأبوابها وفصولها ووقائعه بأحداثها وتقلباتها وعظاته بمغامراتها وأهوالها . أقول : تكاد تكون وقائعى « أنا » بالذات ، وما أوفر عدد من يقول « أنا » فى كتاب يقظة العرب ، إذ ما من فتى فى بلاد الشام سمع نداء الحرية يهدر كالسيل العرم متدفقاً من حناجر الآباء للاستقلال والحرية إلا تيقظ روحه لها وتلفح وعيه بجوهرها ، وسار على منوال أبيه فى اتباع أعمال الرجال الرصناء لنيلهما ، وقد نالها بفضل إخلاصه لوطنه وقوميته وفنائه فى أمته

مؤلف كتاب «يقظة العرب» عالم بحاثة بفطرته ، لا يؤخذ بالظواهر فيعود إلى البواطن ، ولا تجذبه الفروع فى الشجرة ، ولا الجذور المطمورة فى التربة ، بل يرضيه أن يفتش عن مصادر غذاء تلك الجذور وأنواعها ليعلم الدواعى الباعثة على تلك التغذية والغاية المرومة منها .

نعلم « كلنا » أبناء هذا الجيل أن العامل الأكبر فى يقظتنا يعود كما قلت إلى عام ١٩٠٨ وعندنا على هذا العلم شبه أدلة استوحيناها من استقراء عقلية آبائنا ومن مبلغ وعيهم القومى وإحساسهم بالوطنية العربية ، ولكن المؤلف البحاثة قد عاد بنا إلى البذور الأولى ، إلى الفواصل بين الدعوة إلى العروبة والدعوة إلى الإسلام والصلة الروحية بينهما ، ثم إلى الفتح العثمانى .

للحكم العثمانى آثار واضحة المعالم فى نفوس العرب ، لم يكتف المؤلف بتقصيها فى عهد السلطان عبد الحميد ، وهى جامعة للأسباب شاملة للنتائج التى قلبت الأوضاع العربية ، من مطالبته بالإصلاح فى ظل الحكم العثمانى ، إلى العمل سراً على الانفصال عن الترك ، إلى العوامل التى دفعت بجماعة « الاتحاد والترقى » الذين خلعوا السلطان عبد الحميد الطاغية ليقيموا أنفسهم طغاة مثله ، فكانت هى نفسها عوامل فعالة دفعت الأمة العربية إلى عمل إيجابى وهو بناء دولة عربية لحماً ودماً . أقول : لم يكتف المؤلف بهذا ، بل عاد بنا القهقرى إلى عهد محمد على وفتوح الشام على يده ، وشروعه فى تشييد مملكة عريقة ، واختلاف ابنه ابراهيم معه فى الرأى ، لأن الأول كان فى طبيعته خلاقاً للممالك ، بينما كان الثانى يعمل على الاحتفاظ بتلك الممالك ، وإن الأول كان يرى أن العرب ليسوا أهلا للحكم أنفسهم ، بينما كان الثانى يعتقد عكس رأى أبيه ، ولم ينس المؤلف موقف الإنجليز من محمد على وصدهم إياه عن تأليف المملكة العربية ، وقد خلص من هذا البيان المقتضب إلى ذكر تأليف جمعية أدبية فى بيروت قبل مستهل هذا القرن ، كان النصارى هم القائمين بها ، فما لبثت أن دخلها المسلمون والدروز ، ويقول إنها كانت البذرة الأولى لنهضة الفكر القومى

ويسهب فى وصف الإرساليات ونشرها المعارف ، وتزاحم أقطابها وتنافسهم فى تعليم أبناء البلاد علومهم ، وكيف لم تكن تعاليمهم خيراً محضاً ، وكيف تولدت الطائفية عند أبناء البلاد من جراء هاتيك التعاليم المتضاربة الأسباب والغايات . يمضى المؤلف البارع فى سبيله يتتبع سير الحوادث ، وقد اطردت بانتظام حتى انقدت نيران الحرب العالمية عام ١٩١٤ فيذكر مجىء الشريف عبد الله إلى مصر وتحدثه إلى كتشنر والعروض التى تقدمت للانتقاض على الحكم التركى ومخاوف الإنجليز من عواقب إعلان الترك للجهاد الدينى وقيام هؤلاء فعلا بإعلانه ، ونشر الراية المحمدية ، ووقوف سورية على مفترق الطرق توازن بين الوقوف إلى جانب الأتراك ، وبين شد عضد الشريف حسين المتحفز للثورة

يعرج المؤلف على ذكر العهود التى قطعتها بريطانيا العظمى للشريف حسين ورسائل مكماهون ، فنرى الثورة العربية تعلن فى مكة وتندلع نارها وتمتد حتى تدخل قواتها مدينة دمشق ويحتل رجالها البلاد السورية ، ونقرأ فى فصل الكتاب الثالث عهود الحلفاء المتناقضة ونرى مبلغ تكالبهم على اقتسام غنائم الدولة التركية وتنافسهم فى اغتصاب البلاد العربية واتفاق سيكس بيكو ورسالة بلفور إلى الملك حسين ومفاوضات لويد جورج للصهيونيين ووعد بلفور لليهود ، ثم التصريح البريطانى الفرنسى . ولعل أمتع ما فى هذا الفصل خيانة بريطانيا للعهد ومؤتمر القاهرة وأعمال لورنس والانتدابات على العراق ولبنان وسورية ، وقيام الثورات متعاقبة فى سورية ، ثم يأتى دور عقدة فلسطين ، وحق العرب ، وادعاء اليهود ، وهى العقدة الباقية تنتظر الحل العادل

وددت لو يتسع المجال فأقف برهة ليست بالقصيرة حيال بعض رسوم خطوط هذا السفر الجليل أضم بعض حلقات مفقودة لهذه السلسلة المحكمة العقد ، وأزعم أن لو اتصل المرحوم جورج أنطونيوس مؤلف هذا الكتاب بالكثيرين ممن ألجأهم المرض ، أو السن ، أو الضرورات ، إلى التخلف عن ركب الجهاد ؛ أو بالذين خلوا الطريق للمتقدمين الطامحين ، أو النهازة المتفرسين ، لكان استوفى أكثر بحوثه وشارف بها على الكمال

اضطلع بترجمة هذا السفر النفيس حضرة الأستاذ على حيدر الركابى فحق له الشكر الطيب والثناء العاطر يسديه إليه كل عربى بعد إذ يسر لأبناء العربية مراجعة سجل حياتهم وقد سلكوا فيها مسالك بناة الملك .

أبو زيد الهلالى

تأليف الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

لهذا الاسم بريق ولمعان ، وماض مجيد ، وحاضر خافت راكد ، ولكن هذا الحاضر مع خفوته وركوده لم يذهب ببهاء هذا الاسم ، ونضارته ، وما له فى نفوس العامة من أفراد الشعب من التجلة والاحترام . فيكاد يعرفه العامة أكثر مما يعرفه الخاصة — وأعنى بالمعرفة وفرة المعلومات وكثرتها ، لا واقعيتها وحقيقتها — فهو متصل بنفوسهم وحياتهم اتصالا وثيقاً ... يسمعون عن بطولته فى المقاهى والأندية الشعبية ، ما يلهب حماستهم ، ويشعل قلوبهم وأفئدتهم شجاعة وإقداماً ، ويقدم لهم لونا من الخيال الحبيب ، يرضيهم ويطربهم ، ولا يرتضون بغيره بديلا . . !!

وإذا كان من لوازم الأدب التأثير فى النفس ، فإن هذه القصة ، بلغت درجة لم تبلغها قصة غيرها على كثرة ما كان ينشر ويذاع بين هذه الطبقات ... إذ ظلت حديث المجتمع المصرى ثمانية قرون ، وظل شاعر الربابة يحدث بها الناس من العهد الفاطمى إلى اليوم ، بيد أن شعر القصة اليوم أصبح شبحاً ماثلا ولوناً حائلا يتلاشى صوته فى ضجيج العصر ، وجلجلة المذياع .

وليس من السهل تناول هذا الموضوع ، فلا يزال حظ الهلالية فى التاريخ قليل ، وأدباؤنا لا يعنون العناية اللائقة بهذا القصص الشعبى ، بل تركوه فى أيدى الوراقين — من الذين لا يعنيهم إلا جمع القرش — يتناولونه بالتحريف والتصحيف . حتى أصبح من العسير الوصول إلى الحقائق الناصعة ، والنتائج السليمة التى ترضى الباحث ويطمئن إليها الخاصة ، ولا يرتابون فيما يقرءون . . وويل للموضوع يفقد ثقة الخاصة ، ولا ينال تقديرهم واحترامهم ... !!

وبنو هلال وسليم من بطون مضر الكثيرة المتعددة ، الذين كانوا يعيشون قبل الاسلام عيشة البداوة والخشونة . ثم

دخلوا حظيرة الإسلام ، وحملوا رايته ، ورفعوا لواءه ، أيام بنى أمية فى الشام ، وبنى العباس فى العراق ، ثم بنى أمية فى الأندلس

ولأمر ما نزحوا من نجد ، وجاءوا إلى مصر ، فأسكنهم الخليفة الفاطمى صعيد مصر ، بيد أنهم لم يستقم لهم أمر ، فعاثوا فى الأرض فساداً ، وأصبحوا خطراً على الدولة ، فرمى بهم المستنصر ملكَ صنهاجة والقيروان المعز بن باديس ، وذلك لانحرافه عن مذهب الشيعة إلى مذهب أهل السنة ، وفى ذلك كتب اليازورى وزير المستنصر الفاطمى إلى المعز بن باديس يقول :

« أما بعد ، فقد أنفذنا إليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضى الله أمراً كان مفعولا ... » !!

وبذلك ضرب المستنصر عصفورين بحجر واحد ، وهنا تتجلى بطولة هؤلاء الأعراب ، وفروسيتهم التى تحمل فيها الخيال الطليق ، ما كاد يخرجها من عالم الحقيقة إلى عالم الخرافات والأوهام ...

ومهما يكن من شىء فقد تناول صديق وزميلى الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف هذا الموضوع فى سلسلة « إقرأ » ، وهو أديب ناقد ، تخرج فى مدرسة « الرسالة » الغراء ، وكان له فيها جولات ، وقد رزقه الله قلماً يعرف كيف يصل به إلى نفوس القارئين . فلا عجب إذا لمَّ المتفرّق ، وجمع الشتيت ، جمع الناقد الفاحص ، واتخذ من هذا كله مادته فى هذا الموضوع ، فخلق منه بحثاً قيما مفيداً ، يجدر بكل أديب أن يمتع نفسه به فترة من الزمن ، ليجد ألواناً من الفكر المتزن . فيها جدة ، وفيها جرأة ، وفيها طرافة ولذة ...

ولصديقى فهمى عذره فى ترداد اسم ابن خلدون كثيراً ، فهو يكاد يكون المؤرخ العربى الوحيد ، الذى عنى بالكتابة عن الهلاليين ، كتابة فيها مقنع إلى حدّ ما ... وعسى أن تتاح الفرصة لصديقى فهمى ، فيجلو بعض ما فى الكتاب من غموض يسير ، ويوضح بعض ما فيه من إجمال ، أعتقد أن ضيق المقام ، وتقيده بعدد الصفحات هو الذى اضطره إلى ذلك . والكتاب بعد هذا تحفة أدبية لا غنى عنها لأديب .

كتب من مراكش :

عصر المنصور الموحدى

تأليف الأستاذ محمد الرشيد ملين

للأســـتاذ عبد الكريم غلاب

وهذا كتاب آخر نقدمه إلى قراء مجلة الرسالة الغراء أصدرته الطبعة المراكشية حديثاً لمؤلف شاب استهل إنتاجه العلمى بهذا الكتاب الذى يقول عنه إنه حلقة من سلسلة « العصور الذهبية المغربية » التى اعتزم إصدارها

وقد كتب المؤلف كتابه عن شخصية وعصر . فصاحب الترجمة هو المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدى ، شخصية فذة فى تاريخ مراكش ، استطاع الكاتب أن يجعل من تاريخ حياته عصراً يتميز فى خططه السياسية والحربية ويتميز فى حياته العلمية والفكرية ، وبذلك أصبح عصره هذا جديراً بالدراسة والتأليف .

وقد وصل المنصور إلى الخلافة عقب وفاة والده يوسف بن عبد المؤمن عند رجوعه من حرب البرتغال ، فتحمل المنصور الأمانة وهو شاب لا تقوى ساعداه على تحمل المسؤولية ، وكانت أمانة الملك ثقيلة بأعبائها التى تركها له والده : كان البرتغاليون والأسبانيون يغيرون على أطراف المملكة الإسلامية فى الأندلس ، وكان على الموحدين أن يردوا هذا الاعتداء بصفتهم الحارس الأمين على دولة الإسلام فى تلك البقاع . وكان ابن غانية — وهو الذى بقى من نسل المرابطين — يريد أن يرجع دولتهم ، فبدأ بمحاربة الموحدين فى جزر البليار ، ثم انتقل إلى الجزائر وتونس ، محاولا أن يكون دولة مرابطية جديدة ، وأن يقضى على دولة الموحدين . وكان هناك بعض أعمامه واخوته ينقمون عليه أنه تولى الخلافة وهو أصغرهم ، ويرجعون ذلك إلى المصادفة التى جعلته يحضر الغزوة التى توفى فيها أبوه متأثراً بجراحه

كان على المنصور أن يواجه هذه الأعباء بلباقة وحزم ؛ حتى يستطيع أن يحتفظ بامبراطوريته الواسعة ، التي تمتد إلى الأندلس شمالا ، ثم إلى شمال أفريقيا ، بما في ذلك طرابلس وبرقة غرباً . ولذلك كانت حياته سلسلة من المعارك الطاحنة التي اشترك فيها الجيش والأسطول ، فقد غزا الأندلس عدة مرات ، وكانت أشهر معركة خاضها هي معركة الأرك سنة ٥٩١ هـ ، تلك المعركة التي تذكرنا بمعركة الزلاقة في عهد يوسف بن تاشفين ، فقد انهزم حماة النصرانية في الأندلس في كلتا المعركتين واستتبت سيطرة المراكشيين على الأراضي الإسلامية هناك

أما علي بن غانية ، فقد كان خصماً عنيداً لم يكن من السهل القضاء عليه ، وخاصة بعد ما استولى على بجاية في الجزائر ، وأخذ من رجال الصحراء جيشاً قوياً ليحمي به مملكته الجديدة ، ويعيد بها مجد أجداده المرابطين ، ويقضي على مملكة المنصور . ولكن المنصور تعجل الأمر فبعث إليه جيشاً مكوناً من عشرين ألف مقاتل أردفه بأسطول ضخم تحت قيادة أحمد الصقلي أمهر القواد البحريين في ذلك العصر . ولم يفد ابن غانية التجاؤه إلى الصحراء ثم فراره أخيراً إلى تونس ، فقد تتبعه المنصور في معركة أخرى كان من نتائجها أن استولى على كل هذه البلاد ، وقضى على خصمه الألد ، بل قضى على أتباع قراقوش الذين كانوا يساعدونه. وبذلك خضعت الامبراطورية كلها لرئيسها الأعلى المنصور الموحدي

أما العقبات التي أثارها أعمامه وإخوته الذين تأخروا عن مبايعته ، أو أرادوا أن يثوروا عليه أثناء مرضه ، فقد عالجها المنصور بلباقة وحزم ، جعلت أعمامه يخضعون ، وجعلته يتمكن من أخيه الذي حاول الثورة ويقضي عليه بسهولة

ذلك هو الجانب السياسي والحربي من حياة المنصور ؛ بيد أن هناك ناحية أخرى في حياته لا تقل روعة عن هذا النجاح الحربي ، تلك هي ناحية العلم والإصلاح . فقد كان المنصور عالماً يعقد المجالس للعلماء ليساجلهم فيما يعرضون من أفكار وآراء ، وقد كان من أبرز علماء هذه المجالس ابن رشد الفيلسوف وابن زهر الطبيب . وكان إلى جانب ذلك أديباً وشاعراً ، كما كان فقيهاً ومحدثاً . وبذلك اصطبغ عصره بالصبغة العلمية التي جعلته من أزهى عصور التاريخ المراكشي . ونزعة المنصور الإصلاحية واضحة التأثير في العصر الذي نتحدث عنه ، فقد وجه جهوده إلى القضاء على كل أسباب الفوضى الإدارية والقضائية والاجتماعية ، كما وجه همته إلى محاربة الأمية : فجعل التعليم إجبارياً للذكور والإناث ، ويكفي أن نقول إنه حارب فكرة عصمة المهدي (مؤسس الدولة الموحدية) ، وهي التي قامت على أساسها هذه الدولة

ذلك موجز لكتاب « عصر المنصور الموحدي » ، وقد وفق المؤلف في عرضه لهذين الجانبين من عصر المنصور ، فكان ترتيب الفصول طبيعياً ومتسلسلا ، وخاصة في الناحية السياسية. وبذلك توفر في الكتاب نوع من التنظيم قل أن نجده في كتب التاريخ . أما أسلوب الكتاب ، فهو سلس وفيه بريق ولا يخلو من مسحة شعرية . ومما يتصل بذلك أن المؤلف لا يكثر من سرد النصوص التاريخية ، ولكنه يكتفي بعرض الحوادث في أسلوبه الخاص مشيراً إلى المصدر في أمانة وإخلاص

غير أن لي بعض الملاحظات لا تنقص من قيمة الكتاب : منها أن كتابة التاريخ لم تعد سرداً للحوادث ولا تلخيصاً لما كتبه القدماء ، ولكنها أصبحت فناً يقوم على شيء من التفكير وشيء من الفلسفة . ورب حادثة بسيطة لا تسترعي الانتباه تقوم عليها حياة العصر ، ولو وقف عندها المؤرخ قليلا ووهبها شيئاً من نفسه وتفكيره لشرحت له دقائقه وأسراره . ولكنا لم نجد في كتاب عصر المنصور أي مجهود من هذا القبيل ، ومن أمثلة ذلك أن المنصور تحول عن عقائد الموحدين وآرائهم التي قامت على أساسها دولتهم ، وأنه وقف من ابن رشد موقفاً غريباً ، فقد كان راضياً عنه مقرباً له ، ثم غضب عليه ، ثم عاد فاستدعاه إليه وقربه . يعرض المؤلف هاتين الحادثتين كما رواهما المؤرخون ، ولكن لماذا حصل كل ذلك؟وكيف؟لا تجد في الكتاب تبريراً لذلك

ومن الملاحظات الهامة أن دولة الموحدين قامت على عقائد معينة أتى بها المهدي بن تومرت وأقام الدولة على أساسها عبد المؤمن جد المنصور . وقد كان حرياً بالمؤلف أن يعقد فصلا لهذه الأفكار

عدد « الرسالة » الممتاز

سيصدر بعون الله عدد « الرسالة » الممتاز في الأسبوع الأول من شهر يناير سنة ١٩٤٧

والمعتقد التي قامت عليها الدولة .

ومما يؤخذ على المؤلف أنه يسبق الحوادث أحياناً فيدلي بالنتائج قبل أن يسرد الوقائع التاريخية .

وقد قلت من قبل إن الكتاب نظم تنظيما دقيقاً ، ولكن المؤلف يعرض أحياناً لبعض الإصلاحات الإدارية والعمرانية والاجتماعية والقضائية ضمن ما كتبه عن الحياة السياسية . فقد كان حرياً به أن يعقد فصلا مستقلا لما قام به المنصور من إصلاحات

وكنت أحب أن لا أعرض لما وقع فيه المؤلف من أخطاء إملائية ونحوية ولغوية ، ولكن الأخطاء كثرت بحيث لا تكاد تخلو منها صحيفة من صحائف الكتاب ولعل في ذلك أيضاً ما يغنيني عن ضرب الأمثلة . ويجب أن أنبه إلى أن مثل هذه الأخطاء تنقص من قيمة الكتاب، وتشوه من جمال أسلوبه

ولست في حاجة إلى القول بأن هذه الملاحظات لا تغض من قيمة الكتاب العلمية ، وحسبي أن أهنئ المؤلف على مجهوده ، وأن أرجو له التوفيق فيما سيصدره من كتب عن العصور الذهبية المراكشية .

وزارة المعارف العمومية

منطقة وسط الدلتا الجنوبية

بشبين الكوم

تعلن منطقة وسط الدلتا الجنوبية التعليمية بشبين الكوم حاجتها إلى كتبة ومحضرين للمدارس الزراعية بالشروط الآتية : —

١ — أن يكون المرشح حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان أو القسم الخاص أو دبلوم التجارة المتوسطة للوظائف الكتابية وشهادة دبلوم الزراعة المتوسطة لوظيفة المحضر .

٢ — أن يكون مصرى الجنسية لا يزيد سنه عن ٣٠ سنة ولا يقل عن ١٨ سنة .

٣ — أن يكون لائقا فى الكشف الطبى أمام القومسيون الطبى العام .

٤ — أن يكون مستوفيا جميع مسوغات التعيين .

٥ — أن يكون التعيين فى الدرجة الثامنة الادارية بأول مربوطها .

٦ — أن يجتاز امتحان المسابقة وسيكون فى الانشاء العربى وفى الترجمة لاحدى اللغتين الانجليزية أو الفرنسية وفى الكتابة على الآلة الكاتبة للوظائف الكتابية .

٧ — امتحان المحضرين يكون للحاصلين على دبلوم الزراعة المتوسطة فى صيانة الاجهزة وتحضيرها .

فعلى راغبى الالتحاق بهذه الوظائف تقديم طلب استخدام على الاستمارة ١٦٧ ع . ح مصحوبة بالمؤهل الدراسى أوما يثبت الحصول عليه وشهادة الميلاد وصورتين شمسيتين مقاس ٦ × ٩ فى ميعاد غايته الخميس ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٦ وسيخطر كل متقدم عن موعد امتحان المسابقة فيما بعد ٦٤٣٧